عقود الألماس

بمناقب الإمام العارف بالله الحبيب

أحمد بن حسن العطاس

العلوى الحسينى الحضرمى الشافعى رضى الله عنه

تأليف

العلامة المؤرخ الأديب

السيد علوى بن طاهر بن عبد الله الحداد الحضرمى

الجزء الأول

الطبعة الثانية

١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م

مطبعة المدنى

٦٨ شارع العباسية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، اصطنع من عباده المخلِصين أصفياء مخلَصين ، وأولياء مُكْرمين ، أولئك أولو البصيرة واليقين ، والسبق والإمامة فى الدين ، القائمون بحق (إياك نعبد وإياك نستعين) جعلهم مصابيحَ للسالكين ، وأدلةً للمريدين ، وهداة للحائرين ، أشهرَهم فكانوا أعلاما للطريق ، وبصَّرهم فكانو أئمة للهداية وعُيونا للتحقيق ، سار بهم الواقف . وتقدم بهم الخالف ، وارتدع بحُجَجهم المخالف واهتدى بنورهم الحائر . وأقبل برؤية جِدِّهم المعرضُ الفاتر وكمل بتربيتهم المتخلِّف الناقص ، وتقدم إلى حَلْبة السبق الكسول الناكص ، تضاعفت أنوارهم بأعمالهم ، وتزكَّت أحوالهم بإقبالهم ، أنابوا إليه فهداهم واجتباهم واستجابوا له ووالوه فقرَّبهم ووالاهم ، قرَّبهم بامتثالهم ، ونوَّرهم بأعمالهم ، وأحبَّهم وحبَّبَهم لإقبالهم .

(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدًّا)

كاشفهم بأنوار الكشف العالى ، وزيّن قلوبهم بنور منه متلالى ، فكشفوا به عن عيوب النفوس وآفات الأعمال ، وعن المواجيد ومنازل السَّيْر ومنازلات الواردات والأحوال ، وأبصروا به من معانى الأسماء والصفات وأنوارها وآثارها وحقائق المعرفة ، ما لا يبلغه التعريف ولا يستوفيه التوقيف ولا تُعرب عنه الصفة .

(ويزيد الله الذين اهتدوْا هُدًى والباقياتُ الصالحاتُ خيرٌ عند ربك ثوابا وخير مَرَداً) .

أحياهم فى هذه الدار حياتين ، حياة المعرفة والسرور والأنس بالله وقُرة العين ، وآتاهم من الرحمة كِفْلين وكتب فى قلوبهم الإيمان ، وآتاهم العلم ونور

الفرقان ، وصلى عليهم وملائكته ليخرجهم من الظلمات إلى النور . وأيَّدهم بروح قدسى منه فكانوا فى الحزب المفلح المنصور . .

فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فُرقانا) ، (واتقوا الله ويعلِّمكم الله) (أوَ من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس) الآية (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كِفلَين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به) (أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيَّدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) .

فكائن من نقى خلَصت ذاته من الكدر . وعمها الصفاء فيما بطن منها وظهر وأمِدَّت بسرٍّ تبدلت به صفاتها . وتزكَّت اخلاقها وحالاتها . فشمَّ رَوح الأنس فهامت رُوحه . وتبلَّجت له أنوار الحق فهاجت تباريحه ، فشمَّر مقبلا منغمراً بوجْده . يحدوه شوق مستنفد الطاقته ووُجده ، برغبة متقاضية ، وهمة غالبة عالية . فلا يقر قراره . ولا يسكن ليله ولا نهاره . من شوق مزعج مقلق . ووجد مؤجج محرق . وحادٍ يجد به ثم لا يرفق . والعالم الأدنى بصدق التوجه مرفوض ، وبصر الفؤاد عما سوى الله مغضوض ، فما زال مصابرا مثابرا حتى أمده الله بنور القوه ومنحه معانى الأخذ والاستواء والفتوة ، ايقوى على الحِمل الذى حمل . وليثبت متمكنا فيما يفاجئه ويستقبل ، حتى إذا تمت عليه نعمة الكريم الواهب . وفتحت له أبواب المواهب . أفرغ على ذاته من أنوار الفتوح . ما زال به الحجاب بين الجسم والروح .

(مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان)

فذاك حين تفيض الأنوار من باطن قلبه كاتفيض أشعة الشمس من قرصها .

نور السلوك ونور الفتح قد جمعا   فأشرقا بين عبَّاد وزهَّاد

فانفسح لذلك صدره وانشرح ، واتَّضح لديه من دقائق العلم اللدُنّى ولطائفه ما اتَّضح ، وقرَّت العين بالعين . وزال البين من البين . فصار العلم كشفا وعِيانا والإيمان ذوقا وحلاوة ووِجدانا ، والمعرفة معنى تقصر عنه العبارة . ممتنعا على دلالات الاقتضاء والإيماء والاشارة ، لعمرى والله إن هذا لصوت لا يلج كل أُذن ولا يأذن له كل سمع . وذكرى لا يلين لها كل قلب ولا يفيض لها كل دمع ، وصيِّب لا ينزل بكل أرض ولا يُسقى منه كل زرع ، ومثابة لا يبلغ إليها كل قاصد . وعين لا يشرب منها كل وارد ، وصيد لا يناله كل صائد . ومائدة لا يجلس عليها طفيلى .

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم

ثم استمر به السير يستعرض أسرار المكوَّنات . ويستقبل عجائب غرائب المخلوقات ، ويرِد مناهل المعارف ، ويقتطف أزاهر رياض العوارف ، ويترقى عن أسرار الكثائف إلى عالم أنوار الرقائق واللطائف ، وبصره فى ذلك كله طامح إلى المثل الأعلى . بمقعد الصدق الذى هو به أولى ، فى مجالى تقف دونها الأمانى حسرى . والعقول محجوبة عنها والِهة حيرى .

فثم وراء العقل علم يدِق عن مدارك أرباب الفهوم الدقيقة

قال الامام القطب الحداد

ومن ضيع التقوى وأهمل أمرها تغشَّته فى العقبى فنون الندامة
ومن كانت الدنيا قُصارى مراده فقد باء بالخسران يوم القيامة
ومن لم يكن فى طاعة الله شغله على كل حال لا يفوز ببغية
ولا ينشَق الفياح من طيب حضرة الـ وصال إذا هبت نسيم العناية

اللهم فصلِّ أفضل صلواتك . وسلم أزكى تسليماتك على عبدك ورسولك الذى رفعت فى العوالم العليا والسفلى ذكره ، وشرحت بأنوار وَحيك وتجلِّيك

صدَره وتولَّيت دون غيرك تأييدَه ونصره ، وقصرتَ المحبـة منك على متّبعيه . وجعلتَ الحصول على طاعتك وقفا على مطيعيه ، ويَدك فوق أيدى مبايعيه ، وعهدك هو العهد الذى يعطيه ، وحرَّمت جنتك ورضوانك على معانديه . فمن ورد عليك بغير جوازه كان مردودا . ومن صدَّ عنه كان عن رحمتك مصدودا . وعلى آله الأطهار حمّال أسراره وأقمار أنواره ، ومتّبعى آثاره ، وصحبه أولى الصبر والنصر . المخصوصين بفضيلة السبق ورفعة القدر .

(أما بعد) فهذه خلاصة نافعة . ومقتطفات جامعة من مناقب شيخنا إمام عصره . وفريد دهره ، الـكامل علما وعملا وحالا ومقاما . مَن أقامه الله بين الناس مقتدى وإماما ، ومنحه رتبة قرب ومكانةَ محبة لاتسامَى . فانفتحت له أبواب المعارف ، وانـكشفت له الأنوار والأسرار واللطائف ، وأقيم رحمة للنـاس . ودليلا للاكياس ، ونورا فى الظلَم والأغلاس ، الحبيب العارف بالله (أحمد بن حسن بن عبد الله بن على العطاس) السيد الشريف العلوى الحسينى التمسها منى حفيده الأروع الالمعى ، الصالح التقى السيد الشريف (محمد بن سالم) ابن شيخنا أحمد فدلَلته على المناقب الجامعة التى ألفها العلامة المبرِّز ، ناسج برود البيان والمطرز ، والمبتدىء السابق إلى فضلها والمعزِّز الشيخ محمد بن عوض بن بافضل المذحجى السعدى التريمى فقد أجاد وأفاد ، ووفى بالمطلوب وزاد . كما أنه عامل على الاستقصاء فى تأليف آخر مستطاب . فالتأليف بعده فى الموضوع جملة لامحل لها من الإعراب . ولـكن الملتمس المشار إليه أكَّد طلبه بما لم أجد معه موضعا للاعتذار . ولا مناص للتهرب والفرار . فـكتبت ما تيسر من الموجود لدى ومما أخذته من المناقب المشارا إليها عند الحاجة مشيرا إلى ذلك بقولى . قال فى الأصل. أداء للأمانة ، واعترافا بفضل ذوى السبق والفطانة .

وقد صدَّرته بخمسة فصول : (الأول) فى إجمال حال شيخنا (الثانى) فى فضل الأولياء وتعريف الولى (الثالث) فى التنبيه على شبهات وأغلاط فى شأنهم

وقع فيها بعض الناس . (الرابع) فى طريقة صاحب المناقب وهى طريقة أسلافه العلويين. (الخامس) فى التحذير من الطرائق الشيطانية الممقوته المؤدية إلى الزندقة والكفر الصريح .

ثم أتبعت ذلك بفصول فى طريقة أسلافه ونسبه الطاهر وغير ذلك مما ستراه إن شاء الله تعالى . وسميت هذه المناقب .

(عقود الألماس بمناقب الإمام الحبيب أحمد بن حسن العطاس)

والله المسئول أن يعيد علينا من بركات صاحب المناقب . ويفتح لنا من فضله أبواب الفتوح والمواهب ، إنه على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير آمين .

الفصل الأول

فى جملة من أحوال صاحب المناقب رضى الله عنه

اعلم أنا عقدنا هذا الفصل لنذكر فيه مجمل حال شيخنا مع الإشارة إلى شىء من الشواهد كما يقتضيه المقام ، أما التفصيل وبيان ما أمكن ذكره ففى بقية فصول هذا الكتاب المختصر ومن أراد الزيادة فليرجع إلى الأصل الذى سبق ذكره فنقول :

اعلم أن شيخنا رحمه الله لم ينشأ كما نشأ عامة أهل الخصوصيات ومن سبقت لهم من الله السوابق ؛ وصدّقتها اللواحق ؛ ولكنه ظهر له من حين نشأته أمور تشير إلى ما هيِّىء له من التقريب والتخصيص والمواهب ؛ فهو من المخصوصين الذين حفّتهم العناية ،وأنعم عليهم بنور الهداية .ومنحوا صفاء الروح وطهارة السرِّ وزكاة الفطرة من عهد الطفولة . وكان من ذوى الأرواح الطاهرة الدرّاكة الغالبة على أجسادها من أول أمرها . ثم ضوعفت أنوارها وأسرارها وفتوحاتها بالمثابرة على العلوم ؛ والاقبال على صالح الأعمال . ودوام الطاعة والعبادة وصدق التوجه إلى الله وتعلق قلبه بالله واستغراق همته فى ذلك طوال.

عمره المبارك حتى توفاه الله على ذلك ، فكمَّل الله له العلمَ الظاهر قرآنا وتفسيرا وحديثا وفقها وماتعلق بذلك من العلوم الآلية ، والعلمَ الباطن من علم السَّير إلى الله وسلوك الطريقة وآدابها وأخلاقها ، والعملَ بالعلم والمثابرة على وظائف العبادات والذكر وتلاوة القرآن . وسائر مايقرِّب إلى الله تعالى ومايصل إليه العارف بالله من المعارف والأحوال . فأكمل الله له بذلك كله أسباب التصدُّر فى محراب الدعوة إليه . وإرشاد العباد إلى القيام بحقه . وجمعِهم عليه وتحبيب الله إلى عباده وتحبيبهم إليه .

* * *

فأول ماظهر عليه من صفاء الروح والاستعداد للمعرفة أنه « كما أخبرنى » يذكر اليوم الذى ختنوه فيه وهيئة المكان والرجل الخاتن والغَداء الذى قدم له قال ودخل جدى عبد الله بن على إلى المكان المذكور وهو يحمل بين أصبعيه أى الابهام والسبابة حرفا ليعطيه للخاتن أجرة له فوضعه فى شق صغير فى الجدار ثم نسيه وبعد تمام العمل أخذ يبحث عنه وطال بحثه حتى تذكَّر أنه فى الشق فأخذه وأعطاه الخاتن ، [والحرف قطعة نقد من ضرب اليمن أقل من نصف درهم] .

قال صاحب الأصل فى نبذته (الباكورة الجنية) المطبوعة فى آخر الجزء الرابع من جامع كرامات الأولياء :

ومن كراماته أيضا قوة إدراكه فى سن الطفولة إدراكا خارقا للعادة .

قال رضى الله عنه إنى أذكر الآن ماوقع لى بعد ميلادى فأذكر اليوم الذى ولدت فيه واستحضره تماما وأعرف الرجل الذى ختننى فى سابع أيام الميلاد وأتخيل الحاضرين والمنزل الذى هم فيه وغداءهم فى ذلك اليوم (قلت) وهذا شىء لم يعرف لغيره رضى الله عنه وغاية مابلغنا فى هذا النوع ماحكى عن سيدنا الإمام

العارف بالله على بن الحسن العطاس صاحب المشهد الشهير أنه كان يذكر بعض حالاته أيام رضاعه انتهى .

(قلت) أمّا تذكر وقت أيام الرضاعة فإنى أذكر عدة منازل وحوادث وأشخاص وأنا فى سنّ الحولين وذلك ثابت فى خيالى إلى اليوم ثبوتا أوضح من أكثر ماعلمته بعد ذلك . وقد روى عن اياس بن معاويه صاحب الفراسة المشهورة أنه سمع ليلة ولادته رجّة فلما سأل عن ذلك بعد كبره قيل له إن طستا سقط من أعلى الدار إلى أسفلها فأحدث رجة شديدة .

ولكن اين الثريا من الثرى إن ماوقع لشيخنا أمر عال بعيد الغور فانه احتوى على إدراكات ومعلومات وعلل حوادث ونوع أكل ميّزه ونقد صغير عرفه فى اليوم السابع لميلاده وعرف أن ذلك الطعام غداء للرجل وأن النقد لأجرته وغير ذلك وكلها إدراكات دقيقة إنما كانت بقوة روحه الكبيرة وبإمدادها بذلك لجسده الشريف حتى ثبتت فى ذاته وتمكنت منها وذلك كالارهاص لما سيؤتاه من مواهب الله فيما بعد .

وله فى سن الصغر نظائر لذلك قال لى إنى كنت أميّز الدار التى فيها حائض فى صغرى .

قال فى الأصل . وقال نفع الله به كانت تطرقنى الطوارق بالحوادث قبل وقوعها أذكر أنى كنت يوما وأنا ابن سبع سنين مع جملة من الصغار فى الشارع فألقى فى سرى أن فلانا من أهل البلد توفى فأخبرت الحاضرين حولى فلم يصدقونى فمكثنا قليلا فإذا هو ينعى فى بيته .

وكان يسمع الهواتف الربانية ، ويرى الأجرام النورانية والملكية والهيا كل الروحانية تتطور وتقع على رأسه أحيانا على أشكال شتى ويخاطبها وتخاطبه .

قال وكنت وأنا صغير أرى الطيور الخضر تمرُّ فوقى (قلت) وهى كناية عن الأرواح الزكية .

وقال نفع الله به كنت فى إبَّان الصغر أعرف الأشياء وأدركها بالحواس الخمس كلها يعنى اللمس والذوق والسمع يعنى أن كل حاسة منه أعطيت قوة الحواس الخمس كلها بأسرها فى غيره انتهى ملتقطا .

(قلت) يعنى يسمع بما يبصر به وعكسه وهكذا فى بقية الحواس وسيأتى أنه يبصر نصَّ المسألة المكتوب بوضع اصبعه عليه وقد عجز عن العثور عليه البصراء مع الطلب والحرص .

وتبادل الحواس إنما يحصل بعد الفتح فأُكرِم به شيخُنا من صغره عوضا عن فقده بصره . فسبحان الرحيم الفتاح العليم .

وهذه الأمثلة التى ذكرناها تدل على قوة روحانيته وامتيازه رضى الله عنه بخصوصية فى ذلك .

ولعل من نتائج ذلك الوقائعَ الكثيرة التى وقعت له فيما بعد من اجتماعاته بالأرواح البرزخية فما سمعنا بأحد كان له ذلك الذى وقع له ، وأكثر ذلك فات بعدم التقييد والكتابة . ولو حفظ أصحابه الأولون ماسمعوا منه لاجتمع شيء كثير فيه علم نافع مما يتعلق بالأرواح وشئونها بل كان يقول : كانت الأرواح فى بدايتى تأتينى كالوفود وفدا بعد وفد وكان يحكى مرور بعض أرواح الموتى به عقيب انفصالها من جسدها أو مرور الملائكة بها فسألته إلى أى جهة ترونها تذهب بها فأشار بيده إلى جهة القبلة ، بل حكى لنا اجتماعه فى واقعة ببعض أرواح برزخية لم تنزل بعد إلى أجسادها .

قال لى سيدى الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار العلوى الحسينى فى شأن ماجمع من كلام شيخنا إنما ادركتم الحبيب أحمد بن حسن وهو فى أوان الشيخوخة التى يضعف معها كل شيء ولو أدركتم أيام شبابه إذ كان يأتى إلى والدى

أحمد بن عبد الله البار وما كان يفتُر فى المجالس أى من علوم الإشارة والعبارة تلك الأيام وينهمر مثل المطر » أى لحفظ علم كثير » .

* * *

وبالجملة فقد كان الاستعداد القوى والتهيئة الأهلية والفطرة الزكية التى فطر عليها - لِأمر عظيم وهو تلك الخصوصيات التى ظهرت عليه من أوان تمييزه فما بعده .

وقد حكى صاحب الأصل عنه قال : فتح على وأنا أقرأ سورة المؤمن فى مسجد فرج ، ومسجد فرج ببلد شيخه الحبيب العارف بالله صالح بن عبد الله العطاس ويظهر أن ذلك وقع له رضى الله عنه قبل البلوغ أو أوان البلوغ قبل سفره إلى الحجاز لأن ما كان يحكيه مما وقع له من الوقائع والمكاشفات هناك يدل على ذلك ومثلها لايكون غالبا إلا لمفتوح عليه ولا سيما أنه وقع لشيخه غوث زمانه الحبيب أبى بكر بن عبد الله العطاس أنه استشار النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى أمر فقال له سيأتيك الاذن أوقال الإشارة على يد بعض أولادكم . ولا يحيل النبى صلى الله عليه وآله وسلم قطبا من الأقطاب فى الإذن على محجوب . وقد حصل لشيخنا ما يحصل المرادين من عباد الله فى أول عمره والحمد لله وحده .

ومن ذلك أنه ابتدأ فى الأخذ عن مشائخه وسنه خمس سنين فحفظ عنهم ما ذكره صاحب الأصل وأن عناية الله ترعاه فى صغره فإذا امتنع أحد من أهله عن مطلب له أصيب بمغص ولا يذهب حتى يعطيه ما طلبه ، وكان فى ألعابه مع أقرانه الصغار يتصرف تصرف البصير القوى البصر بل ويرحل وحده إلى المواضع التى لم يسبق له إليها سفر ولا له بها معرفة بغير دليل مع صغر السن .

* * *

ولما بلغ أوان التمييز وقرأ القرآن لزم شيخه الحبيب صالح بن عبد الله

العطاس والحبيب أبا بكر بن عبد الله العطاس فرحل إلى الأول إلى بلدة « عمد »، واجتمع معه اجتماعات أخرى فى «حريضة» وسمع عليهما بعض الكتب كما سيأتى وكان ذلك مع شغف شديد بالعلم وميل قوىّ إلى أهل العلم والصلاح فكان مع صغر سنه يلزم من ورد إلى بلده منهم ويغتبط به ويتشبث بالكون معه ويدخل فى عداد الآخذين عنه .

قال رضى الله عنه فى سياق حكايته لنا ما كان عنده من تعظيم الواردين منهم : كانت قلوبنا مملوءة بالتعظيم والاحترام لمن يرد من السلف إلى البلد كالحبيب العلامة محمد بن على السقاف نرى كأنما ورد علينا بوروده نبى وقد شغف حبا بشيخه الحبيب العارف بالله صالح بن عبدالله العطاس حتى أنشأ قصيدة باللغة العامية يمدحه بها فقال له الحبيب صالح ما نريد منك أن تتعلق بالشعر ولكن اقرأ القرآن ثم ستأتى بعد ذلك بشىء من الجراب وشىء من الكتاب . فكان يلزم شيخه المذكور إذا جاء إلى « حريضة » .

وفى بعض المرات عاد الحبيب صالح إلى بلده من غير علم شيخنا فلما علم ركب الطريق ليدركه بغير دليل ولا قائد . وشعر الحبيب صالح بذلك فقال لمن معه ألا تنظرون أحدا خلفنا فنظروا وقالوا ما نرى أحدا ثم سألهم ثانيا فقالوا نعم هذا ولد صغير مقبل علينا فقال هذا أحمد بن حسن فوقف له حتى وصل فأردفه خلفه إلى بلد قريب ثم أعاده بعد تطمينه .

سفره إلى الحرمين الشريفين :

وعزم فى حياة شيخه السفر إلى الحرمين فى سن البلوغ أى فى حدود سنة ١٢٧٤ هـ للحج ثم فى سنة ١٢٧٥ هـ لتجويد القرآن وطلب العلم ومكث بهما إلى ما بعد سنة ١٢٧٩ هـ فكان مكثه لطالب العلم هناك خمس سنين ثم عاد إلى وطنه وسنه فى حدود إحدى أو اثنتين وعشرين سنة ، فكان وهو فى عنفوان شبابه شيخ

الشيوخ وقد نبه لذلك شيخه الحبيب أحمد بن محمد المحضار فى إجازته له سنة ١٢٨٢ ففيها يقول : حتى وصل هذا السيد إلى مقام أهله ، والجميع شهدوا بفضله وكمال عقله ، فنشّط النفوس ودعاها إلى حضرة الملك القدوس . وحام حول الأودية يطلب الأدوية ، يطوف فى أكناف البلاد ، يظن الناس أنه مريد وهو مراد . اه .

اجتهاده فى العبادة :

وكان سيدى فى بدايته كثير الاجتهاد فى العبادة قبل سفره إلى مكة وبعد رجوعه منها وكانت له أوراد كثيرة ييسرها الله له ويبارك له فى الوقت حتى يعجب السامع كل العجب من تمكنه من الاتيان بها فى ذلك الوقت القصير .

نمت عنده ليلة سنة ١٣١٨ فقام مع دخول الربع أو الثلث الأخير من الليل تقريبا فتوضأ وصلى فأطال حتى حضرت القهوة فأخذ فى تلاوة أذكار طويلة وتكرير الأسماء الحسنى يسبح أو يهلل أو يحمد أو يكبر عند كل اسم ثم اتبع ذلك بتسابيح وأذكار أخرى ، ثم أبتدأ يتلو القرآن بقراءة معتدلة فقرأ نحو خمسة أجزاء قبل صلاة الصبح . والقائمون فى المسجد لا يقرءون فى ذلك الوقت إلى أذان الفجر إلا نحو جزئين ونصف بقراءة مستعجلة .

عنايته بتحصيل العلوم :

وله أغرب من هذا سيأتى ذكره فى موضعه قال لى إنه كان هو والشيخ الصالح العارف أحمد بن عبدالله بلخير يصلون الوتر جماعة بعشرة أجزاء من القرآن ، وذكر فى الأصل أن من أوراده خمسة وعشرين ألفا من لا إله إلا الله وقراءة نصف القرآن فى بعض اليوم .

وأما اعتناؤه بقراءة الكتب العلمية من تفسير وحديث وفقه وتصوف

وغيرها فلا نعلم أحدا من أهل عصره وقع له نظيره وقد عدد فى الأصل بعض الكتب وهى شىء كثير كما سيأتى وإن كان بعضها قد قرىء عليه قبل اتصال الشيخ العلامة محمد بافضل مؤلف الأصل به لأنه اتصل به سنة ١٣١٦ ولكن ما قرأه هو عليه بعد ذلك وما قرأه غيره يدل على أن ما قرىء عليه فى المدة الطويلة منذ عاد من مكة إلى السنة المذكورة ومقدار ذلك على التقريب لا يقل عن ست وعشرين سنة كان شيئا كثيرا يفوت الحصر .

وما كان شيخنا يصبر عن العلم ولا العبادة ولا الذكر فذلك غذاء جسمه وروحه . وما رأيت أحدا يصبر على سماع كتب العلم مثله .

ولقد كان إذا شغل بمحادثة ضيف أو وافد لا يحتمل ترك القراءة فكان يأخذ كتابا يضعه فى حجره ويقلب صفحاته مع اشتغاله بالحديث معه شغفا بالعلم وكتبه ، فقد كنا نبتدىء بالقراءة أول النهار ونستمر عليها الساعات ومن جاء إلينا انتظر فإذا ملّ ذهب وكنت أجلس معه فى ظل داره فإذا ذهب الظل تحوّلنا إلى جانب آخر حتى يحين الزوال .

ومع هذا فكان كثيرا ما يحن ويتلهف على صفاء القلب وانشراح الروح الذى كان عنده قبل سفره إلى مكة ويقول ما معناه : كان معنا صفاء وطيبة قلب على ما كان عليه أسلافنا فلو تركنا لكان وكان ، يذكر ذلك متلهفا متشوقا كما يعرض للعارفين من حنينهم إلى أيام البداية والتفرغ للاقبال والمجاهدة بعد رجوعهم إلى إرشاد الخلق ومعاناتهم بعد إظهار الله لهم لنفع العباد ، وهم فى حالهم هذه أعظم مقاما مما مضى .

* * *

وبالجملة فإن طلبه للعلم وتعمقه فيه كان مكملا لفطرته الزكية ، وصفاء روحه وسببا موصلا إلى انطلاق لسانه بالإشادة والابانة عن الحقائق العلمية والعرفانية

وتمام تأهّله لدعوة الناس وسياستهم والقيام فى تأليفهم وإصلاح ذات بينهم ووضع الأمور مواضعها ، ولو لم يكن فى تعمقه فى العلم الظاهر إلا تبيينه لأهله وإرشادهم إلى كيفية الاستفادة من كتبه ، وحسن الفهم للوقائع لكفى . قال لى مرة ما معناه إن الكامل هو الذى يعرف المعنى فى الصورة ، والصورة فى المعنى . وهو يشير بذلك إلى مقام عال ومن عرف كيف يرى العلم نورا أو لبنا أو مثالا أو صورة فهم ما يشير إليه .

* * *

أخبرنى مرة بواقعة له : عرف منها أن السيد أحمد بن حمزة العطاس سيموت وكان بسيون قال فقلت للأخ على الحبشى أتريد أن تصلى على أحمد بن حمزة فقال نعم . فقلت له هيا . فخرجنا ليلا من « سيون » فلما وصلنا « العروض » سمعنا الناعى أقبل من « وادى عمد » وبكرنا مع الناس وحضرنا الصلاة عليه ودفنه وكان فى تلك الواقعة التى وقعت لسيدى مثل (بضمتين) أو صور كما كان يعبر رضى الله عنه فقلت له ما معنى هذا وأى شىء فى هذا يدل على أنه يموت ففسرّها لى فرأيت أمرا معقولا يشبه تأويل ذبح الابن بذبح الكبش فى قصة خليل الله إبراهيم صلوات الله عليه . فكتبت ما أخبرنى به جميعه فى دفتر صغير كنت أعده للكتابة الأولى لما يقوله قبل عرضه عليه فيما بعد وتبييضه . فلما قرأته عليه امتعض وغضب وزجرنى وقال لى مثل هذا لا تكتبه إذ لا ينتفع الناس به وما هو إلا مثل سيل مرّ فسقى ما سقى وذهب وليس فى ذلك قدوة ، ومن سمع هذا هل يقدر أن يحدث لنفسه مثله اكتب ما فيه قدوة وتأس فلو سمعت أن فلانا كان يقرأ كل ليلة مقدار كذا من القرآن أو يصلى كذا وكذا لك أن تكتبه إذا كان يمكن سامعه أن يفعله إذا وفقه الله « هكذا معنى كلامه وربما زدته أنا بيانا » بل قال لى إن مثل هذا إذا قرأته على ثانيا أشم له رائحة عفنة إشارة منه إلى ما فيه من المنع والحرج ، وشيخنا مأذون له فى إخبارنا وإنما نحن

الذين لم يؤذن لنا فى كتب ذلك وتخليده فتفهم ، وقد قال فى الأصل عن الحبيب الامام الكبير عيدروس بن عمر الحبشى إنه يعنى شيخنا من الأولياء المطلقين وأنه مأذون له فى إظهار ما كتمه غيره انتهى .

تمكنه من علم الظاهر والباطن .

وبالجملة فإن شيخنا قد ازداد تمكنا بعلم الظاهر فى علم الباطن الذى هو التحقق بالإيمان واليقين والمعرفة الخاصة والكشف الصادق فأمر بالعود من مكة إلى حضرموت فى وقائع روحية وقعت له ومرائى منامية لبعض أسلافه وكان شيخه سيدى أحمد زينى دحلان لا يريد مفارقته قال سيدى إنى قلت لبعض أولئك الذين يترددون إلى قولوا للشيخ فليأذن لى فوقعت لشيخه واقعة اقتنع معها بسفره فأذن له فى ذلك فجاء إلى حضرموت كالغيث للأرض الجدبة فاستقر بها إلا ما كان من سفره للحج ولمصر . وقد كان نورا للبلاد بل شمسا ضاحية فيها ، وبه وجدنا أنسا فى الطلب للعلم وتحبيذا واهتبالا واحتفالا كما وجد غيرنا ممن وجهه الله لطلب العلم على حين يرى أكثر الناس ذلك منهجا أدنى . ويرون فى الجاه والمال المقصد الأعلى . وكان رحمه الله تعالى إذا جاء إلى بلادنا فأول ما يسأل عنه بعد اجتماعنا به ماذا جد لنا من الكتب السلفية فإذا أخبرناه فرح منا وأنهض هممنا وهكذا كان لغيرنا من طلبة العلم .

وكان يقسم أوقاته بين قراءة كتب العلم وإقامة المدارس وتلاوة القرآن وإقامة الجماعة ومواصلة الأوراد وإدامة التهجد وقيام الليل حتى كان لا ينام منه إلا نحو ثلاث ساعات كما أخبرنى عن نفسه وكما شوهد من حاله . وهكذا كان شيخنا العابد السجاد الحبيب طاهر بن عمر الحداد ، وإذا كان فى بلده حريضة يخرج إلى المسجد قبل الفجر بمدة فيصلى ما شاء الله ، ثم يشرب قهوة كان

يعدّها له المؤذن ثم يقرأ خمسة أجزاء من القرآن فإذا طلع الفجر قام إلى الصلاة وأتى بعدها بأذكارها مع الحاضرين ثم عاد إلى تكملة أوراده ولا يخرج من المسجد الابعد صلاة الاشراق فيعود إلى البيت فإذا ضحى النهار جلس لقراءة الكتب النافعة كما كان يجلس لقراءتها عشية إلى المغرب .

بذل جهده فى الاصلاح بين الناس .

وإذا علم بفتنة بين السلطان والقبائل أو بين القبائل أنفسهم نهض فى إطفائها ورحل إليهم وبذل جهده حتى تنطفى النائرة ، وتهدأ الثائرة وكان يحلم عن عجرفة الجهال وذوى الحمق منهم ويداريهم ولا يجيب جدلهم إلا بما يسكن غضبهم حتى يصلح حالهم . وما كان يبالى بتعنُّتهم ولا باتهامهم له إذا لم يوافقهم على أهوائهم بل يسعى فيما يصلحهم من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون .

كانت قبائل «نهد» قدسكنت عروض الكسر من أعلى وادى حضرموت فى أول القرن السابع بعد حروب بينهم وبين سكانها الأولين وصار لهم بهقرى وحدائق نخل بالحرة وأشجار من السدر يستعينون بها على معاشهم وكانت بينهم ثارات وحروب وترات قديمة وحديثة تمادت بهم حتى أدت إلى إخرابهم جانبا من الساقية التى تسقى نخيلهم إذا جاءت السيول فصار الماء يخرج من الموضع الخرب إلى الوادى الأكبر وأشرفت نخيلهم على الهلاك فسعى شيخنا لاصلاح أمرهم وأقام بينهم صلحا فى الفرث خمس سنين (والمراد بالفرث عندهم وعند بوادى حضرموت كلها كل ما يقوّم بالدراهم وضده الدم وهو القتل وفيه ثأر ولا بد) ثم أراد جمع أمرهم على اصلاح ساقيتهم فكان فيهم من لا يجد نقدا يسلمه لذلك ومن يجد نقدا ولا يسمح به فلما أعيا أمرهم عرض عليهم أن يقوم هو باصلاح الساقية وعمارتها فيستدين لذلك على أن يوفوه من ثمر النخل كل سنة عِذقا

من كل نخلة وقدّروا لوفاء الدين أخذ ذلك من خريف سنتين . فاستدان لذلك ألوفا وجمع عمالا وجعل من يقوم بالعمل ويشارفه حتى عمرت وعادت كما كانت فارسل مندوبه عند أول خريف فسمحوا بما عاهدوا عليه فاجتمع منه ما قضى به جانبا من الدين بعد بيعه فلما كانت السنة الثانية امتنع بعضهم لخلاف بينهم وثوائر وأحقاد . فذهب رحمه الله وكنت معه إلى قراهم . ومكث بها قريبا من نصف شهر متنقلا من قرية إلى قرية جامعا لهم وناصحا فاجمعوا على التسليم والتزموا به إلا قبيلة منهم فى قرية منتبذة . فجاء إليهم سيدى عشية يوم فاستقبلنا منهم رجلان من كبارهم وأنزلونا فى بيت من بيوتهم . وابتدأ شيخنا فى الحديث معهم فى تأليف الشمل والاجتماع على ذلك الأمر المحمود والوفاء بما عاهدوا وواعدوا . فكان الجواب منهم يتكرر فى غاية من الجفاء والخشونة وكلما زاد شيخنا فى القول بالتى هى أحسن زادوا هم فى القول بالتى هى أسوأ وكانوا كلما أغلظوا فى الجواب لم يعرج على ذلك بل يستمر على أسلوبه الحسن فعاد وعادوا مراراً حتى آذنت الشمس بالغروب ولم يستجيبوا فخرجنا وما أظهر غضباً ولا خاشنهم ولا أجابهم إلا بالحسنى كلما أساءوا القول . وما تهددهم ولا دعا عليهم ولا ذكرهم بعد ذلك بشىء . وكنت أكاد أتميز من الغيظ وأعزم على الرد عليهم ومجادلتهم . بمثل ما يقولون ثم أرجع إلى نفسى فأقول ربما أفسد على سيدى أمرا يحاوله فأتصبّر حتى انقضى المجلس . فخرجنا من قريتهم وقد أقبل الليل فما آوونا ولا عرضوا علينا ذلك كما يفعل كرام العرب . وما رأيت على سيدى تأثرا من فعلهم . وكانت العاقبة عليهم والعقوبة من الله لهم كافية فقد جاءت الحمى إلى قريتهم فأخذت رجالهم وأوهنت قوتهم فبعدا للقوم الظالمين .

اتصلت بهذه القضية قضية أخرى بل قضايا أربع من الفتن سعى رحمه الله

تعالى فى إطفاء نارها وتلبيد غبارها . فلنؤخر ذكرها إلى موضع آخر إن شاء الله تعالى . والمقصود التعريف بصبره على تحمل المشاق وعناد ذوى العناد فى سبيل إصلاح ذات البين وسعيه الشديد فى العمل بقوله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم) وقوله تعالى :(لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس) .

تقلله من المأكولات :

وكان رضى الله عنه يقتصر من القوت على ماقلّ وخشن ، وكان لا يميل إلى المأكولات الدسمة ولا الألوان المختلفة ولا ماطبخ بالأفاويه وإنما يقتصر على أكل قليل من الأرز أو خبز الذرة وقلما كان يأكل اللحم وقد يقتصر على تناول قطعة صغيرة منه جبرا لبعض الناس . وإذا عرض عليه على المائدة يقول دعونى آكل طعاما أولا ويعنى به الخبز أو الأرز فإذا أخذ من ذلك مقدارا وهو لا يكون إلا قليلا وقف فإذا عرض عليه اللحم ثانيا فقد يضع أصبعه عليه ويرفعها ويقول اكتفيت وقد يجبر صاحب البيت بأخذ مضغة واحدة .

تحمله وصبره ونشاطه فى العبادة :

والأمر الذى كنا نعجب منه ولا نزال نتذكره إلى اليوم أنه كان مع قلة مايتعاطاه من الطعام ظاهر الدم والصحة نشيط البدن ولاسيما للتلاوة والصلاة والتهجد وقراءة الكتب ومجالس الاصلاح بين الناس ومجامع الدعوة إلى الله وكنا نسافر معه الشهر فأقل وأكثر فما رأيناه تحوّل عن عادته فى الطعام . ولقد كنا نسافر معه ونحن شبان وهو فى عشرة السبعين فنسير غالبا من الساعة الأولى أو الثانية من أول النهار إلى مابعد الزوال ، وقد يكون فى موسم الصيف فكان يركب على فرسه أو ناقته منتصبا بيده خِطامها أو عِنانها وباليد الأخرى

المظلةَ منتصبة فلا يزال على رِكبته لا يتزحزح عنها ولا يضطرب وما رأيناه ارتمض من طول السير ولا ثَنَى رِجْلا ولا حنى ظهرا بل يبقى كما هو منتصبا ولا يشرب أثناء السير ولا يشكو عطشا . ونحن فى سنِّ الشباب نرتمض من طول السير ونحوِّل أرجلنا على الدواب ذات اليمين وذات الشمال وتارة نأخذ المِظَلَة فإذا تعبنا أطبقناها وإذا صادفنا ماء أثناءالسير استبقنا إليه ، فنشرب فى أثناء الطريق مراراً . فإذا وصلنا منزلا كان أول مانطلبه الماء . وإذا عرض عليه لا يشرب بل يجلس متسائلا مع أهل المنزل مقبلا عليهم يأخذ خاطرهم ويتحدث معهم حتى إذا مرَّ نصف ساعة أو نحوه طلب المـاء فشرب مقتصدا وقد لا يشرب ، طلب مرة ماء ليشرب على خلاف عادته ثم قال إنى أعجب من هؤلاء كيف يشربون كثيراً حتى وقع لى البارحة أنى أخذت فوق عادتى من الطعام فلذلك احتجت للشرب وفهمت العلة فى كثرة شربهم ، وكان اللحم يطبخ فى بيته فلا يأكل منه ويقتصر على مايعتاده حتى فى اليوم الذى يحتجم فيه ، احتجم مرة واللحم موجود فلم يمسه ولم يشرب مرقاً بل اكتفى بأكل دَجْر [1] أُعِدَّله ومالا حظناه فى شأن صحته مع تقلله من الأكل وترك المغذى عنه قد لاحظه غيرنا حتى لقد قال الحبيب الإمام العارف باللهعلى بن محمد الحبشى إنما قوت الأخ أحمد بن حسن هو القرآن أو كما قال .

وأحسب والله أعلم أن لقوة روحانيته التى تقدم شرحها أثرا فى ذلك والله أعلم ، وللسرور وقرَّة العين أثر عظيم فى الصحة والنشاط وإنما سروره وقرة عينه بطاعة الله وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « وجعلت قرة عينى فى الصلاة » .

ولقد كان رضى الله عنه من الصبر والرضا والتسليم لجارى القضاء بالمقام

---

(١) الدجر : مثلثته اللوبياء كالدجر بضمتين .

الأعلى سواء كان ذلك فى الأعراض البشرية أو مالا يخلو عنه من تمت نعمة الله عليه من حسد الحاسدين وكيد الكائدين . فقد كان من حاله أن يبقى فى ذلك مع صفاء سره واطمئنان قلبه إلى كفاية ربه فمهما فاجأه شيء من ذلك تراه كالذى يطرده عن نفسه ويمنعه أن ينفذ إلى قلبه ويسرع بالاشتغال عنه بحديث أو قراءة علم أو ورد . فكنا نعرف منه ذلك ثم يستمر كأن لم يحدث شيء ، وقد يرفع طرفه إلى السماء يدعو الله ويرد الأمر إليه ثم يعود مطمئنا إلى كفاية الله فما كان شيء فى العالم أعزّ عنده من قلبه ووقته وعمله وإقباله الذى مازج قلبه وقالبه واستمر عليه من صغره إلى كبره إلى وفاته ، وكان يستهين بألم الجسم حتى كأنما هو فى جسم إنسان آخر .

جاء مرة إلى بلادنا فى آخر رجب فبات فى بيتنا وأمرنى أن آتى إليه فى الرابع أو الخامس من شهر شعبان قال إنا نريد السفر إلى حضرموت لحضور زيارة نبى الله هود صلوات الله عليه فغدا من عندنا بعد الفجر وطلع العقبة عائدا إلى حريضة من طريق الجبل فنفرت فرسه من حيوان عرض لها ، وكانت رجله فى الركاب فاحتكت بصخرة على جانب الطريق فانكشف جلد القَدَم إلى قرب الأصابع فلما جئت إليه على الموعد نظرت فإذا رجله وارمة وجلدة القدم كالمرتفعة بما تحتها من الصديد . فقلت له هل بقيتم على عزمكم قال نعم . فقلت له : وكيف ذلك مع هذا الجرح . فقال : إنما هو شيء قليل هكذا قال ولو كان ذلك بأحدنا لركبته الحمى ولزم الفراش ولم يقم إلا بمعين ولم يمش إلا بقائد . فغدونا معه منحدرين إلى حضرموت وهو واضع رجله المنتفخة فى الركاب ولا يئن ولا يظهر منه تألم لا عند ركوب ولا نزول ولا مشى ولا طلوع درج منزل . وكلما رأى أحد رجله استفظع الجراحة فيرد عليه إنما هو شيء قليل . فذهبنا مع الجموع للزيارة وحضر محافل الذكر والدعوة والزيارات لم يُخِلّ بحضور شيء منها ولم يرفه عن نفسه وما ظهر منه تضجر ولا تململ كأنما هى

رجل إنسان آخر ورجعنا بعد أسابيع إلى بلده وهى لا تزال جريحة وإن كان الورم قد خف ثم منّ الله بالشفاء فله الحمد .

غرائب من خصوصياته .

ومن خصوصياته وقوفه على مواضع النصوص الفقهية وغيرها فى الكتب بعد عجز طلبه العلم عن العثور عليها وهذا متكرر مشهور عنه ، سمعت شيخنا العارف بالله محمد بن طاهر الحداد العلوى الحسينى يذكر ذلك ويعجّب من عنده . جاء شيخنا مرة إلى « قيدون » وانعقد مجلس فى بيت شيخنا محمد وحضره جماعة من طلبة العلم ووقع البحث فى مسألة مشكلة وجاؤا بالكتب يبحثون عن نص فيها وطال بحثهم فما وجدوا فتناول شيخنا كتابا ووضع يديه على أعلاه ثم فتحه ووضع أصبعه على أحد أسطره وقال انظروا هذا فأخذه بعضهم من يده فإذا أصبعه قد وضعها على نفس النص والمتصلون به يحكون عنه حكايات كثيرة فى ذلك فإنه يقع على الموضع المطلوب فى الكتاب مع عجز أهل البصر الظاهر عنه ولا غرابة فإن عين البصيرة أقوى من البصر الظاهر بدرجات لا تحصى .

ومن المواهب التى منّ الله عليه بها فتح حاسة الشم فتحا معنويا وهى حال قد تقوى عند بعض أولياء الله حتى لقد يشم مايمرّ به من الأرواح ويشم ريح ولِيّ مقبل أو فى مكان خاص بل كان شيخنا يشم بعض الكتب السلفية فى بعض البيوت إذا ورد بلدا وقد يكون ذلك البيت من غير بيوت أهل العلم بل يعرف المحل الذى سبقت فيه عبادة أو كان مقراً لصالح وقد أخبرنا بمواضع سيكون فيها أناس من الأخيار أو ستعمر بالخير والصلاح فى المستقبل وظهرت بوادر مايقول فى بعضها وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى محله .

رؤيته الحضرة النبوية مناما مرارا .

ومنها كثرة رؤياه للمصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حتى لقد تتكرر رؤياه فى الليلة الواحدة إلى سبع مرات .

خرجنا سنة ١٣٢٧هـ لزيارة حضرموت أنا وأخي المرحوم العلامة الإمام عبد الله بن طاهر واجتمعنا هناك بشيخنا ، وكان معه أحد كبار السادة مع جماعة له ومررنا لزيارة بعض السادات من آل شهاب في « دموق » القرية المعروفة قرب مدينة تريم . فبتنا بدار الحبيب المرحوم محمد بن عمر بن شهاب الدين والد الحبيب ذي الهمة العلية والأخلاق المرضية . حسين بن محمد نزيل قرسي من بلاد جاوه والمتوفى بها . فكل منا نام في ناحية أما ذلك السيد الكبير فقد اختار مع جماعته أن ينام في الحوش وهو محل فسيح أمام البيت عليه حائط وباب طلبا لبرد الهواء ، وكان الموسم صيفاً ، وكانت بتلك القرية كلاب سود اعتادت دخول الحوش والطواف فكانت تدخل عليهم مرة بعد مرة وكلما طردوها عادت . فلما أصبحنا وأراد شيخنا زيارة بعض السادة أخذ ذلك السيد الكبير بيده عند خروجهم فأخذ شيخنا يكلمه بصوت خفي إنني البارحة رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبع مرات ، وكان ذلك السيد الكبير لايترك النكتة إذا عرضت له فقال هكذا أنت بت ليلتك مع النبي ونحن بتنا هنا نطارد الكلاب السود فضحك السامعون .

وأخبرني الحبيب المرحوم الفاضل الصالح عمر بن طاهر الحداد رحمه الله تعالى أن شيخنا قال له : إني إذا عرض لي شك في حديث سألت عنه النبي صلى الله عليه وسلم . ولم تكتب مرائيه له صلى الله عليه وآله وسلم ولو كتبت لكانت في مجلدات .

ومن مواهبه معرفته الكذب قال إني أراه يخرج من فم قائله كالدخان وكان يميز ما في المصنفات العلمية ، من الكلام وما صدر عن هوى أو تعصب أو غير ذلك وله في المصنفات العلمية والمختار منها وما ينبغي أن يشتغل به الناس اليوم ارشاد كثير سنجمله فيما يأتي إن شاء الله تعالى .

خَلقه وخُلقه وبعض عاداته

أما صورته فكان مربوع القامة مستدير الرأس سَبْط البدن ليس بالخفيف ولا البدين نشيط الحركة فى تُؤَدة ووقار . يعلو وجهه هيبة وجلالة ومحبة . يميل وجهه إلى التدوير فى أنفه أحديداب قليل وقنى ، ضليع الفم نقى الصوت فيه صَحَل ، إذا قرأ فى الصلاة فجهر نفذ صوته وتغلغل إلى المكان البعيد فى غير إزعاج وكان له فى القراءة نغمة معتدلة غير متكلفة يميل فيها إلى الحدر مع الوقوف مع مقاطع الآيات والجمل . بحيث إن كثيراً من العوام تلوح لهم معانى مايقرأ من حسن إلقائه وكان يقول إن فهم القارىء يسرى إلى السامع وعكسه وكان قد أحكم القراءة بالأنغام السبعة المعروفة ثم ترك ذلك واقتصر على ماذكرناه وقد يقرأ فى الظهر بسورة السجدة أو تبارك وفى المغرب بأوساط المفصل كالمرسلات ونحوها . وقال إنى كنت فى أيام القراءة بالأنغام كأنما كان القرآن محبوكا مشدوداً كالكرة يعنى فى عدم ظهور معانيه ومع ذلك فكان يلوم على عدم تحسين الصوت عند قراءة القرآن وسمعته يلوم بعض أهل البلدان فى ذلك . ويقول لهم أنتم إذا أنشدتم حسنتم أصواتكم فإذا عدتم إلى قراءة القرآن اتخذتم نغمة غير مقبولة .

وأما لونه فكان فيه أدمة تميل إلى حمرة خفيفة يكتسى وجهه ألواناً تناسب وجده وتأثره الباطن . وكان لطيف الإحساس يشعر بما لا يشعر به أكثر الناس ، وقد كنت أدخل معه بعض المنازل التى لا تزال طاقاتها مغلقة من الليل فلا يحتمل البقاء فيها بل يسرع الخروج ويأمر بفتح الطاقات فإذا تجدد الهواء دخل فنعجب مما يشعر به أما نحن فلا نرى فرقاً ، عاش سليم الأسنان يقضى عليها حب البن إلى آخر عمره ، وكان يكثر من أحد حبوبه مرات فى أثناء مجلسه يُعَدُّ له فى كيس لطيف ويقول لا تقتدوا بى فى هذا ولا فى كثرة شرب

القهوة . وكانت القهوة إنما تصنع له قبل السَّحر وبعد قيامه من القيلولة . وما كان يترك القيلولة حضراً ولا سفراً ولو لم يحصل له إلا السكون والاضطجاع ، ويقول إن لذلك تأثيراً فى نشاط البدن ولو لم يحصل نوم. وقلما يستعمل المسهلات ولا يميل إلى استعمال الأدوية ولا سيما الحادة منها ولكنه كان لا يترك الحجامة فكان يحتجم إلى آخر عمره وقد ناف على السبعين، وكان تلميذه ذو العلم والفضل الحبيب عبد الله بن علوى العطاس يتحدث معه فى وجوب تركها بل قد يتهدد الحجام فى سرعة إتيانه كلما طلبه كأنه يشير إليه بطلب المعاذير وإقلال إخراج الدم . وكان نومه قليلا نحو ثلاث ساعات سريع الإفاقة بأدنى حركة حتى لقد يؤثر عليه صوت نفَس القريب منه فكيف بغطيطه . وإذا كان فى محفل احتبى أو جلس متربعاً وقلما يضطجع أو يتكىء إلا إذا خلا المجلس أو كان به عدد قليل من الخواص ، وإذا تكلم رتّل وأوضح .

وكان إذا حضره ذوو النفوس لاطفهم فى أول كلامهم وسرَّهم ثم محض لهم النصيحة فى غير عنف وإذا رأى من مبطل تماديا زجر وتكلم برفع صوت من غير تجاوز للمعهود من كلامه مع بيان أن ذلك أصلح لهم وأحمد عاقبة وإنما يسعى فى صلاحهم . وما كان يفحش إذا غضب على أحد ولا يذمه ولكنه ينبِّه على العدل وموضع التقصير ويحدو إلى الإنصاف كل ذلك فى معرض النصيحة والمطالبة بإصلاح النفس .

وكان قوى الفراسة يفهم أغراض الناس ولو أبعدوا فى سترها بحُجُب المواربة وعرضها فى صور بعيدة عن المقصد فيجتذبهم إلى الصواب بلطف ولا يصرح لهم بما يخفون .

وكان شأنه فى أمر دنياه ونفقته مبنياً على الاقتصاد فى عدل يميل إلى السخاء من غير إسراف وأخذ بالاقتصاد من غير إجحاف ، أمره فى ذلك مبنى على ملاحظة زمانه ومكانه وإمكانه مع الاعتماد على الله فى ذلك والتجمُّل كل التجمل

فما رئى يشكو ضيقاً أو حاجة لأحد ولا يتحدث فى شئونه المعاشية إلا قليلا وقد استدان مرة أو مرتين فقضى الله دينه على يد بعض الموفقين من عباده . وما كان يستشرف إلى مثل حالة أحد الدنيوية ولا يغبطه عليها وما سمعناه أشار إلى مثل ذلك أو تحدث فيه . ولا تعجبه مظاهر الترف والتأنق ولا تلائمه ولا يقدر على الصبر عليها . وإنما يميل إلى التوسط بل والتقشف ويفضل خبزاً مفتوتاً بالقهوة على ألوان الخبز المعمول بالسكر والكعك والعسل وغير ذلك. وقد تمد لأجله مائدة إذا نزل عند بعض محبيه مملوءة بأصناف الأطعمة فلا يميل إليها ولا يشتهيها . بل وقد كانت تعرض له ولا سيما فى بدايته ضوائق فلا يضيق بها ذرعاً . ولا يشغل بها وقتاً ولا فكراً ، ولكنه يتدرّع لها الصبر ويستبطن الرضا وينتظر الفرج . قال لى أصبحنا مرة يعنى فى أول أمره وليس فى البيت شىء يؤكل . وخرجت لزيارة الحبيب عمر بن عبد الرحمن فوجدت على أرباع ضريحه أربعة أقراص حارة كأنما خرجت من التنور فحملتها إلى البيت فكانت طعامنا وكان إذ ذاك هو وزوجته قبل وجود أحد من الأولاد .

وقال لى إننى بعت حصتى من ميراث والدى بستمائة ريال وابتدأت فى بناء هذا البيت بها فأكملنا قصراً منه ومكثنا كذا وكذا سنة ساكنين فيه ، وفيه نستقبل أضيافنا حتى فتح الله وتم بناؤه . وكان قد حصلت له إشارة نبوية ببنائه . فأوسع فى البناء لما يشعر به من حاجة إليه فى المستقبل .

وإذا حضره أناس فى حاجة أو زيارة أعطاهم فرصة فى التحدث بما يريدون من ذلك ثم أمر من عنده من تلاميذه بالقراءه فى الكتاب ويطيل ولا يملّ ليقطع الحاضرين من العامة عن الحديث الذى قد يكون فيه ما لا يرضى الله . وإذا كان فى الكتاب ما لا يليق أن يسمعه العامة أمره بالسكوت أو إدراج القراءة حتى لا تكون لهم فرصة لتدبره وفهمه . وكان يحب أن يُعَدّ فى كل منزل ما تدعو الحاجة إليه من الكتب للمطالعة أو المراجعة فكان مُعِداً خرجاً

مملوءاً من الكتب فى الفنون يحمله معه إذا سافر وفى بيته خزانتان للكتب . وجعل فى غرفة مسجد الحبيب محسن الذى جدده خزانة مملوءة بالكتب وأخرى فى الدار التى بناها بحريز . ويستعد يزاد للحاجة . فتش مرة خرجه المشار إليه ليجدد ترتيبه فوجد فيه ما كان قد أعده منذ خمس عشرة سنة صحيحاً لم يتغير فأعطاه الحاضرين فأكلوه واستطابوه . وكان هو يَعُدُّ كتبه ويرتب خزائنه ومتى أراد إخراج كتاب من شىء منها وضع يده عليه من أول وهلة .

ويركب فى أسفاره الفرس أو البغلة وقد يركب ناقة وذلك قليل فى آخر عمره .

ولباسه من القطن وعمامته منه ويستعمل قميصاً وجبة ورداء قد يكون من القطن وهو الأكثر أو من الصوف .

وكان يعتنى بحضور المحافل الإسلامية ويقوم فيها واعظاً ناصحاً . وإذا سار أجَدَّ السير وأسرع .

وكان فى دعائه فى الأسحار وغيرها يعم به جميع المسلمين . وكذلك فى أدعية الاستعاذة والتحصين والأدعية قبل قراءة الفاتحة . ويهتم بشئونهم .

وكان له مواضع يأمر بحرثها ومواضع أخرى فيها نخل يتجمل بها اعتنى فى اقتنائها وشرائها شيئاً فشيئاً . وغالب أهل الجهة الحضرمية ينظرون إلى من ليس له حرث بنظر استهانة وكان منصبه الدينى والعلمى يأبى ذلك ويحب أن ينتفعوا به والعامة إيمانهم فى عيونهم ومطرح أنظارهم ماظهر . وقد رأينا علماء وصلحاء لم يأبهوا بهم لذلك وهذا منهم طبع أكدته حالة البلاد ، فكان يَكِلُ أمر الحراثة إلى من يكفيه فيها . وبعد أن كبر ابنه الحبيب « سالم » وَكَلَ ذلك إليه جملة كافية .

وكان رحمه الله تعالى أعد للحراثة عدتها كاملة بما لايوجد نظيره عند

أحد من أهل الجهة حتى لايحتاج إلى استعارة شيء من مواعينها أو آلاتها ولا يُثقِل على الناس .

وكان أكثر مايفرح بالحصول عليه القصب لإطعام دواب الأضياف والوافدين ولا سيما أيام القحط وقلة الأمطار ولأنه لايمكن جلبه من البنادر أو الهند كما تجلب الحبوب .

ومن عادته أنه يجمع أكارع الأغنام التي يذبحها للأضياف فيجتمع منها طول السنة مئات . فإذا كان أول السنة أمر بطبخها مع دَجر فى قدر أو قدور عظام ثم فرقها على أهل البلد يفعل ذلك كل سنة . وسيأتى ما يتعلق بصدقته من غلتها ونحو ذلك فيما يأتى .

الفصل الثانى

فى فضل أولياء الله وتعريف الولى

قال الله تعالى : ﴿ ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون. لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

وأخرج البخارى عن أنس وأبى هريرة رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال عن الله تبارك وتعالى : « من أهان لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة. وما ترددت فى شيء أنا فاعله ماترددت فى قبض نَفْس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه . وما تقرَّب إلى عبدى المؤمن بمثل الزهد فى الدنيا ولا تعبَّد لى بمثل ما افترضته عليه » . وفى رواية للبخارى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قال من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب وماتقرَّب إلى عبدى بشيء أحب إلى من أداء ما افترضته عليه . وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى

يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنَّه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته » .

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني إن للحديث طرقا أخرى عن عائشة أخرجه أحمد في الزهد ، وابن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي ، في الزهد ، وأخرجه الطبراني وروى عن علي أخرجه الإسماعيلي في مسند علي ، وعن ابن عباس وأنس وحذيفة ومعاذ بن جبل وقال إن هذه الروايات ضعيفة .

وقال السيد مرتضى في شرح الإحياء قلت رواه أحمد والحاكم وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب والحاكم في الزهد وابن عساكر من حديث عائشة وساق الحديث بنحو ماتقدم . بزيادة قليلة وروى ابن السني في الطب عن ميمونة بنحوه ، وروى من حديث أنس رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء والحاكم وابن مردوية وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الأسماء والصفات وابن عساكر .

قال الحافظ السيوطي أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء قال حدثنا الهيثم بن خارجة والحكم بن موسى قالا حدثنا الحسن بن يحيى الخشني عن صدقة الدمشقي عن هشام الكناني عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبريل عن الله يقول الله عز وجل « من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة . وأني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد وما تقرب إلى عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه . ومايزال عبدي المؤمن يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته وماترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه وإن من عبادي لمن يسألني الباب من العبادة فأكفَّه عنه كراهة أن يدخله عجب فيفسده ذلك . وإن من عبادي المؤمنين

لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك . وإن من عبادى لمن لايصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك وإن من عبادى لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو صححته لأفسده ذلك إنى أدبر أمر عبادى بعلمى بقلوبهم إنى عليم خبير .

وأخرجه أبو نعيم فى الحلية فى ترجمة الحسن بن يحيى الخشنى بثلاث طرق إليه عن صدقة الدمشقى عن هشام الكنانى عن أنس بطوله وقال غريب من حديث أنس لم يروه عنه على هذا السياق الا هشام وعنه صدقة تفرد به الحسن . قال الحافظ السيوطى والحسن بن يحيى قال الذهبى تركوه وقال أبو حاتم صدوق سيء الحفظ وقال دحيم لا بأس به قلت وقال أحمد لا بأس به وقال الساجى عن أبى داود كان ثقة ووثقه ابن جوصاء . أما ماقاله الذهبى نقلا فيه الدارقطنى فينبغى التوقف فيه فإن حاله مع الصوفيه معلوم كما قيل :

ليس بينى وبين عمرو عتاب غير طعن الكلى وضرب الرقاب

وذكر السيوطى الحديث من رواية عائشة رضى الله عنها ونسبه إلى مسند أحمد وقد ذكر الحافظ ابن حجر فى الفتح قول الذهبى ولا اظنه فى المسند ثم عقبه بقوله : (قلت) ليس هو فى مسند أحمد جزما ثم ذكر أن أحمد خرجه فى كتاب الزهد ولكن رأيت فى مجمع الزوائد للحافظ الهيثمى نسبته إلى الإمام أحمد كما سيأتى . وقد قال إن رواته رواة الصحيح إلا عبد الواحد وثقه أبو زرعة والعجلى وابن معين فى رواية وضعفه غيرهم اه . فيكون حديثه من قبيل الحديث الحسن ولم ينفرد عبد الواحد بروايته عن عروة بن الزبير عن عائشة بل تابعه أبو حرزة يعقوب بن مجاهد قال اخبرنى عروة عن عائشة فساق الحديث ذكر ذلك السيوطى عن الطبرانى فى الأوسط قال حدثنا هرون بن كامل

فساق الحديث وعقبه السيوطى بقوله : قلت ورجال الاسناد رجال الصحيح إلا هرون ومراده به شيخ الطبرانى وذكر بعده ما رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى امامة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فساق الحديث بنحو ماتقدم ثم قال وفى سنده على بن زيد ضعيف . قلت روى له البخارى فى الأدب المفرد ومسلم والأربعة أصحاب السنن .

قال الحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تبارك وتعالى « من عادى لى وليا فقد استحل محاربتى » قلت فذكر الحديث رواه البزار واللفظ له وأحمد والطبرانى فى الأوسط وفيه عبد الواحد بن قيس وقد وثقه غير واحد وضعفه غيرهم وبقية رجال أحمد رجال الصحيح ورجال الطبرانى فى الأوسط رجال الصحيح غير شيخه هرون ابن كامل .

* * *

فقد تبين لك أن هذا الحديث صحيح لا مطعن فيه بتعدد طرقه وثقة رواته وأما خالد بن مخلد فكل ما ذكره له ابن عدى من الأحاديث الغرائب عشرة ليس منها هذا الحديث والغريب قد يكون من أقسام الصحيح فيطلق على حديث الآحاد . وإنما ثقل على ابن رجب والذهبى معناه ومذهبهما فى الصفات ومقامات أهل التصوف ومنا زلاتهم معروف فتوهما على أن الحافظ السيوطى نقل فى فتاويه عن الموقظه : للذهبى قوله :

من أخرج له الشيخان أو أحدهما على قسمين أحدهما ما احتجا به فى الأصول وثانيهما من خرجاله متابعة وشهادة واعتبارا . فمن احتجا به أو أحدهما ولم يوثق به ولا غمز فيه فهو ثقة حديثه قوى ومن احتجابه أو أحدهما وتكلم فيه فتارة يكون الكلام فى تليينه وحفظه له اعتبار . فهذا حديثه لا ينحط عن مرتبة الحسن الذى قد نسميها من أدنى درجات الصحيح فما فى الكتابين بحمد الله

رجل احتج به البخارى أو مسلم فى الأصول ورواياته ضعيفة : بل حسنة أو صحيحة ، ومن خرّج له البخارى أو مسلم فى الشواهد والمتابعات ففيهم من فى حفظه شيء وفى توثيقه تردد فكل من خرج له فى الصحيحين فقد قفز القنطرة فلا معدل له إلا ببرهان بين . نعم الصحيح مراتب . والثقات طبقات . انتهى كلام الذهبى ولعله يشير بآخر كلامه إلى مراتب الصحيح العشر التى ذكرها الحاكم فى المدخل قال الحافظ ابن حجر فى الفتح : وفى حديث حذيفة من الزيادة ويكون من أوليائى وأصفيائى ويكون جارى مع النبيين والصديقين والشهداء فى الجنة .

وأخرج الحاكم فى المستدرك بسنده إلى زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر خرج إلى المسجد يوما فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكى فقال ما يبكيك يا معاذ قال يبكينى حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول اليسير من الرياء شرك ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة إن الله يحب الأبرار الاتقياء الأخفياء الذين إن غابوا لم يفتقدوا وإن حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة . هذا حديث صحيح ولم يخرج فى الصحيحين وقد احتجا جميعا بزيد بن أسلم عن أبيه عن الصحابة واتفقا جميعاً على الاحتجاج بحديث الليث بن سعد عن عياش بن عباس القتبانى وهذا إسناد صحيح ولا يحفظ له علة . قلت وافقه الحافظ الذهبى فى تلخيص المستدرك فقال . صحيح ولا علة له .

وأخرج الحاكم فى المستدرك عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولاشهداء يغبطهم الشهداء والنبيون يوم القيامة لقربهم من الله ومجلسهم منه فجثا أعرابى على ركبتيه فقال يارسول الله صفهم لنا وحلِّهم لنا قال هم قوم من أفناء الناس من نزاع

القبائل تصادقوا فى الله وتحابُّوا فيه يضع الله عز وجل لهم يوم القيامة منابر من نور يخاف الناس ولا يخافون هم أولياء الله عز وجل الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه .

(قلت) قال الحافظ الذهبى فى تلخيصه . صحيح . واعلم أن هذا حديث جليل صحيح روى عن جماعة من الصحابة وله شواهد صحيحة فى حديث المتحابِّين فى الله بل هما حديث واحد اختصره بعض رواته . فقد روى من حديث أبى مالك الأشعرى أنه جمع قومه قلت فذكر الحديث إلى أن قال . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قضى صلاته أقبل علينا بوجهه فقال يأيها الناس اسمعوا وأعلموا أن لله عزوجل عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله فجثا رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوى بيده إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال يارسول الله ناس من المؤمنين ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم أُنعتهم لنا حلِّهم لنا يعنى صِفْهم شَكِّلْهم لنا فسر وجه النبى صلى الله عليه وآله وسلم بسؤال الأعرابى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا فى الله وتصافوا يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون قال الحافظ الهيثمى رواه كله أحمد والطبرانى بنحوه وزاد على منابر من لؤلؤ قدام الرحمن ورجاله وثقوا ثم رواه عن أبى مالك أيضا أخرجه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير شهر بن حوشب وقد وثقه غير واحد . قلت ترجمه فى القول الفصل بما يزيل كل شبهة فى ثقته ،

وقد أخرج هذا الحديث أبو داود وهناد وابن جرير وابن أبى حاتم

وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الإيمان عن عمر بن الخطاب فذكره بنحو ماتقدم وقال فيه ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون) وأخرجه ابن أبى الدنيا وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقى عن أبى هريرة بمثله .

وأما روايته باختصار معنى الآية فقد أخرجه ابن أبى شيبة وعبدالله بن أحمد فى زوائد المسند عن أبى مسلم قال لقيت معاذا فذكر الحديث وأخرجه ابن أبى شيبة عن العلاء بن زياد رضى الله عنه وأخرجه الحاكم فى مستدركه عن أبى إدريس الخولانى عن معاذ وعبادة بن الصامت رضى الله عنه وقال : وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الحافظ الذهبى على ذلك وذكره بإسناد الصحيحين من طريقين آخرين وذكره شاهداً . والآيات فى محبة العبد لله ومحبة الله للعبد ولبعض العاملين من عبيده ببعض الأعمال الصالحة كالمتقين والتوابين والمتطهرين والمحسنين والمقسطين كثيرة وعدم محبته للعاملين بالأعمال السيئة كقوله تعالى : والله لا يحب الظالمين والله لا يحب الفاسقين . كثيرة أيضا

وكذلك وردت فى ذلك أحاديث كثيرة صحاح وحسان فيطلبها من أرادها والله ولى التوفيق .

السبب فى ذكر هذه الروايات .

وإنما أطلنا بذكر الروايات وتصحيح الأسانيد لظهور أناس فى هذا الزمان يطعنون فى الأحاديث الصحيحة جراءة منهم وقحة مع جهل ظاهر ودعوى عريضة لمرض فى قلوبهم وبدع اعتقادية طرأت عليهم . والعياذ بالله تعالى .

وقد رأينا بعض من تصدى لتفسير القرآن فى عصرنا يحاول قصر معنى الآية على العموم ونفى الخصوص فأطلنا فيما ذكرناه لنبين أن الآية وإن صح حملها على عموم المؤمنين المتقين فإن فيها تخصيصا لأهل الخصوص فإن الإيمان

درجات ينتهى إلى اليقين الذى لو كشف الغطاء ما ازداد كما روى عن أمير المؤمنين على كرم الله وجهه أنه قال : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وكذلك التقوى .

ولا شك أن التآخى والتحاب فى الله بين أولياء الله وأهل الحق من الصوفية أظهر منه فى غيرهم وهم الذين تجدون فى علومهم آداب الصحبة والأخوة وما يعتمدونه من المحبة فيما بينهم وفيما بين المريدين وأشياخهم .

وقد روى فى تفسير (الا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون) انهم الذين إذا رءوا ذكر الله روايات عديدة مرفوعة وموقوفة عن ابن عباس وسعيد بن جبير وسعد وأسماء بنت زيد لا نطيل بها .

وأخرج مسلم فى صحيحه عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : اغبط أوليائى رجل مؤمن خفيف الحاذ ذوحظ من صلاة أحسن عبادة ربه وأطاعه فى السر وكان غامصاً فى الناس لا يشار إليه بالأصابع ثم صبر على ذلك . قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيده فقال عجلت منيته . وقل تراثه . وقلت بواكيه .

وأما حديث رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره فهو حديث مشهور أخرجه مسلم عن أبى هريرة والحاكم والترمذى وأخرجه عن أنس الترمذى والحاكم وأبو نعيم وأخرجه عن ابن مسعود ابن أبى الدنيا والبزار والديلمى وقوله لو اقسم على الله لأبره روى فى حديث عند الشيخين عن حارثه ابن وهب وعند أحمد والترمذى والنسأئى وابن ماجه وابن حبان والطبرانى عن حارثة والمستورد بن شداد ورواه الطبرانى والضياء فى المختارة عن زيد بن ثابت ورواه الطبرانى من حديث معاذ وأحمد من حديث حذيفة والطبرانى من حديث أبى الدرداء ورواه الطبرانى فى الأوسط عن ثوبان بسند صحيح ورواه الحرث ابن أبى سامة عن ابن عباس .

تعريف الولى

قال الحافظ ابن حجر فى الفتح المراد بولى الله العالم بالله ، المواظب على طاعته ، المخلص فى عبادته وقال الامام القشيرى فى الرساله : فإن قيل ما معنى الولى قيل يحتمل أمرين أحدهما أن يكون فعيلا مبالغة من الفاعل كالعليم والقدير وغيره ويكون معناه من توالت طاعاته من غير تخلل معصية . ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول كقتيل بمعنى مقتول وجريح بمعنى مجروح وهو الذى يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على الادامة والتوالى فلا يخلق له الخذلان الذى هو قدرة العصيان وانما يديم توفيقه الذى هو قدرة الطاعة قال الله تعالى وهو يتولى الصالحين انتهى .

والولى مأخوذ من الدنوّ والقرب فى المكانة أو النسبة فيسمى القريب بأحدهما وليا ويطلق على المحب والصديق والنصير والمتولى تدبير الشخص أو الأمر والحكم ، ويوصف به العبد والرب تعالى . ويوافقه فى أكثر معانيه المولى ويقال الله ولى المؤمنين ومولاهم . والمؤمن ولى الله ولا يقال مولاه . قال الله تعالى الله ولى الذين آمنوا . وقال تعالى : ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا . وقال تعالى : وهو يتولى الصالحين .

وللعلماء تعاريف بألفاظ مختلفة وكلها تدور حول المعنى السابق وما جاء فى القرآن والسنة فيه ما يُثلج الصدر ويُقر العين ، والإيمان الصحيح الثابت القوى الراسخ هو الأصل فى هذا الباب . وعنه تنهض همة العبد وإرادته الصادقة وعزمه الجازم لاستكمال التقوى والقيام بحق العبودية والجد والتقرب إلى الله بما أمر به والسعى فى مراضيه بأداء ما افترضه الله عليه من الأوامر فيؤديها كاملة مع الحضور وصدق الخضوع والتذلل والتعبد لله ناظرا إلى أمر ربه . غير مشتغل بحظ نفسه ملاحظا مِنَّةَ الله عليه فتنقطع عنه الغفلة والعجب والرياء والاستشراف

الأجر لاعتقاد أنه انما يحصل من فضل الله كما هو اعتقاد أهل السنة والجماعة فيُخلِص عمله لله صادرا عن كونه عبده فيكون تعبدا من عبد رِقٍّ . لاآله حق .

أما أصل التقوى بامتثال الأوامر والانتهاء عن المناهى فيحصل من أول الأمر لأنه لازم من لوازم الايمان الصحيح وثمرة من ثمراته وكلامُنا هنا فى استكمال ذلك فتأمله .

ان للأعمال الصالحة أجورا وأنوارا فى الدنيا قبل الآخرة بزيادة الإيمان والرغبة فيزداد العبد تعبدا وتذللا لله بنوافل العبادات من صلاة وصوم وذكر وفكر . ويوفق الله العبد فيقيم على نفسه حارسا أن تلم به مفسدات القلب الخمسة وهى (التمنى) وأصله الخواطر المترددة المتكورة فينتج التمنى وعن التمنى تنتج الرغبة فمقارفة المحذور . (والخلطة) فانها تفرّق الهم وتحل العزم وتورث الغفلة وتدعو إلى تقليد الخليط والمرء من جليسه . (والتعلق بغير الله) فيقطع العلاقة من رجاء أو خوف أو ميل . بمحو الخواطر والارادات (وترك الشبع والاقلال من النوم) فيزداد إيمانه قوة[1] .

وإذا جاء إبّان محبة الله للعبد فإنه فى الغالب يتقدمه أشياء كثيرة من الأحوال التى تكون لأهل الخصوصيات وهى مختلفه لا يمكن تعيينها لاختلاف ما يَمُن الله به على أحد عبيده وما يمن به على غيره . فقد يَمُن الله على عبد بشىء منها هو غير ما يمن به على الآخر حسب مراد الله وما سبقت به القسمة التى تظهر فى الإعداد والإمداد وكل شىء عنده بمقدار .

وأما ما ورد فى الحديث وهو قوله : فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به الحديث . وفى رواية وفؤاده الذى يعقل به ولسانه الذى يتكلم به وفى رواية أخرى ومن أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا دعانى فأجبته وسألنى فأعطيته ونصح لى فنصحت له فقد فسره بعض العلماء بالحفظ عن استعمال

---

(١) لعل الأصل (والشبع والاكثار من النوم) فبتركهما يزداد إيمانه قوة تأمل .

جوارحه فى المعصية أى حافظا سمعه الذى يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل وهكذا.

والصواب أن الحفظ هو من آثار محبة الله له ، وقال ابن حجر المكى بعد أقوال : وحاصل ما تقرر أن من اجتهد بالتقرب إلى الله تعالى بالفرائض ثم بالنوافل قربّه إليه ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان فيصير يعبد الله على الحضور والشوق إليه حتى يصير ما فى قلبه من المعرفة شاهدا له بعين بصيرة فكأنه يراه فحينئذ يمتلىء قلبه بمعرفته ومحبته وعظمته ومهابته واجلاله والأنس به ثم لا تزال محبته تتزايد حتى لا يبقى فى قلبه غيره فلا تستطيع جوارحه أن تنبعث إلا بموافقة ما فى قلبه وهذا هو الذى يقال فيه لا يبقى فى قلبه إلا الله أى معرفته ومحبته وذكره - إلى أن قال - وعند امتلاء القلب بمعرفته فينمحى منه كل ما سواه فلا ينطق إلا بذكره ولا يتحرك إلا بأمره ، فإن نطق نطق بالله. وإن سمع سمع بالله وان نظر نظر به وإن بطش بطش به انتهى .

أى فيصير نطقه وحركته إلى غير ذلك على موافقة الأمر .

وقال الإمام الحسين بن محمد الطيبى تلميذ الإمام السهروردى معنى قوله كنت سمعه إلى تمام الفصل أجعل سلطان حبى غالبا عليه حتى يسلب منه الاهتمام بشىء لا يقربه إلىّ فيصير منخلعا عن الشهوات . ذاهلا عن الحظوظ واللذات مقبلا بقلبه وأينما توجه لقى الله بمرأى منه ومسمع . لا تطرق حالته الغفلة ولا تحول دون شهوده الحجبة . ولا يعترى ذكره النسيان . ولا يخطر بباله الأحداث والأعباء . يأخذ بمجامع قلبه حب الله فلا يرى ولا يسمع ولا يفعل إلا مايحبه لله ويكون سبحانه فى ذلك له يدا ومؤيدا وعونا ووكيلا ويحمى سمعه وبصره ورجله عما لا يرضاه ، وحقيقة هذا القول ارتهان كليّة العبد بمراضى الله تعالى وحسن رعاية الله له وذلك على سبيل الاتساع . فإنهم إذا أرادوا اختصاص الشىء بنوع منه والاهتمام به والعناية والاستغراق فيه والوله والنزوع له سلكوا هذا الطريق قال :

جنونى فيك لا يخـفى   ونارى فيك لا تخبو
وأنت السمع والناظر   والمهجـــة والقلب اه

منقولا من كتاب ظهور الحقائق للحبيب المرشد الجواد عبد الله بن علوى العطاس تلميذ شيخنا . قلت وهذا كلام فى غاية الحسن وهو ثمرة محبة الله له ومحبة الله له ثمرة تقرب العبد إليه وقد ذكر فى الاحياء نحو ما ذكره الطيبى .

واعلم أن محبة الله محرمة على من لا يتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلو أدى عبد الفرائض واجتنب المحارم وأكثر النوافل من غير محبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتباع له فلا ينفعه ذلك ولا يدرك به محبة الله تعالى . فهو محروم كل الحرمان من قوله فى هذا الحديث «حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه » إلخ الحديث فكل ذلك لا حظ له منه . قال الله تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) وقال تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ان الله لا يهدى القوم الفاسقين) .

وروى الشيخان البخارى ومسلم والترمذى والنسائى عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله . وان يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار . ولاحظ فى قوله : وان يحب المرء لا يحبه إلا لله ماورد فى حديث المتحابين فى الله الذى سبق ذكره .

وروى الشيخان عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين . وروى البخارى عن عبد الله بن هشام قال كنا مع النبى صلى الله

عليه وآله وسلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر : يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل شيء إلا نفسى التى بين جنبى فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لا والذى نفسى بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلى من نفسى فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم الآن يا عمر ، وفى معنى التقرب ما رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلى ذراعا تقربت منه باعا وإن أتانى يمشى أتيته هرولة وأخرجه غيرهما وهو حديث مشهور .

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة . وقد حملوا هذه الأحاديث على الإيمان الكامل الراسخ وسواء صح هذا الحمل أو لم يصح فإن ما نحن فيه لابد فيه من الايمان الكامل ، والمقصود أن التقرب بأداء الفرائض والاكثار من النوافل ومحبة الله للعبد حتى يحبه لا يكون مع إيمان ناقص . ولكن الله إذا رحم العبد وعلم صدقه تفضل عليه بكمال الإيمان الذى لا يحصل إلا بما نصت عليه الآيات والأحاديث من محبة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالوصول إلى درجة الأحبية بل جعل القاضى عياض ذلك شرطا فى صحة الإيمان وكلام الحافظ ابن حجر يميل إليه وقال الحافظ ابن حجر فى قوله أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما : أن تثنية الضمير هنا للإيماء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين لا كل واحدة منهما فإنها وحدها لاغية إذا لم ترتبط بالأخرى فمن يدعى حب الله مثلا ولا يحب رسوله لا ينفعه ذلك ويشير إليه قوله تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فأوقع متابعته مكتنفة بين قطرى محبة العباد لله ومحبة الله للعباد انتهى .

والحديث يدل على أن معاداة الولى ذنب كبير توعد الله فاعله بالمحاربة وأن الله يعطى الولى ما سأل ويعيذه مما استعاذ منه وذلك أصل في صحة الكرامات .

أما محبة العبد لله فقد جعلها الصوفية من أعمال القلوب ومقاما خاصا من مقامات الأصفياء وأكثرهم على أنها تكون بعد مقام المعرفة . وعند بعضهم بالعكس والأول أرجح ولعل المراد بالقول الثانى محبة دون محبة . وكذلك جعلوا محبة الله لعبده صفة من صفاته لا تشبه محبة المخلوق بل هى كما يليق بجلاله وقدس كماله وتنزهه عن الشبه فى صفاته .

وللصوفية تعريفات المحبة كثيرة فليراجعها مريد ذلك ولم أر فيما وقفت عليه تعريفا أجمع مما عرفها به قطب الدعوة والإرشاد الحبيب عبد الله بن علوى الحداد الشريف العلوى الحسينى فإنه قال :

ومعنى الحب لله تعالى ميل وتعلق وتأليه يجده العبد فى قلبه إلى ذلك الجناب الأقدس الرفيع مصحوبا بنهاية التقديس والتنزيه وغاية التعظيم والهيبة لله تعالى لا يخالطه شيء من خواطر التشبيه ولا يمازجه شيء من أوهام التكييف تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وقد أشار رضى الله عنه بقوله وتأليه إلى أن تلك المحبة صادرة عن كونه تعالى معبوده وإلهه كما يدل على ذلك قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) فهذا حب التأليه والتعبد والاستعانة والتضرع والخضوع والتذلل وسائرها يكون من العبد المتعبد لإلهه ومعبوده الحق . وكذلك قال بعض السلف والصوفية إن حب الله للعبد صفة من صفاته جاءت فى كتابه العزيز وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم نؤمن بها ولا نكيف ولا نشبه .

وبعض علماء الكلام فسروها فى حق العبد بالطاعة وفى حق الله بإرادة إحسان

خاص لعبده فيفسرون قوله تعالى يحبهم ويحبونه . يحبهم أي يريد احسانا خاصا لهم ويحبونه يطيعونه . فقوله تعالى: أحب إليكم من الله ورسوله يتركب فيه أفعل التفضيل من معنى الطاعة لله والمحبة له صلى الله عليه وآله وسلم وفي قوله تعالى: والله يحب المحسنين أي يريد احسانا خاصا للمحسنين . فهذا منتهى نظر القوم فاختر لنفسك ما يحلو .

الفصل الثالث

في التنبيه على شبهات وأغلاط في شأنهم وقع فيها بعض الناس

اعلم أن الأغلاط الواقعة من علمة الخاصة أو عامة العامة في شأن الأولياء كثيرة يطول الكلام في استقصائها وبيان بطلانها مما لا يتسع له هذا المختصر فنقتصر على ما تحصل به الفائدة إن شاء الله تعالى وأكثرها يعود إلى الجهل بحقيقة حالهم مما أدى إلى إنكارهم أو الإنكار عليهم أو إلى الغلو فيهم أو الجهل بكيفية الانتفاع بهم ، والجهل بحقيقة حالهم قد يجيء بسبب عدم الاطلاع على النصوص القرآنية والحديثية وفيما سبق كفاية أو بسبب عدم إدراك معانيها كما ينبغي، ودواء ذلك العلم والاطلاع على سيرهم وما وقع لخواص الأمة من استجابة الدعوات وانكشاف بعض الأمور لهم مما يحصل لغيرهم وقد جاء في سير الصحابة والتابعين من ذلك ما فيه كفاية . ومن أغربها رؤيتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته مما عبر عنه المتأخرون بالاجتماع به صلى الله عليه وآله وسلم يقظة . وذلك يكون بمعونة البصيرة الباطنة ونور خاص يمنحه الله عبده الصالح وقد رأيت للحافظ السيوطي رسالة في امكان رؤية النبي والملك أورد فيها نصوصا عامة ولكني بحمد الله وقفت على رواية صحيحة في وقوع ذلك لبعض الصحابة .

أما رؤية الملائكة فالأحاديث في ذلك متعدده وهو ما رواه الطبراني باسناد حسن عن ضمرة بن ثعلبة رضي الله عنه أنه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

فقال ادع الله لى بالشهادة فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم اللهم حرّم دم ابن ثعلبة على المشركين والكفار قال فكنت أحمل فى عرض القوم فيتراءى لى النبى صلى الله عليه وآله وسلم خلفهم فقيل له يابن ثعلبة إنك لتغرر وتحمل على القوم فقال إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم يتراءى لى خلفهم فاحمل عليهم حتى أقف عنده ثم يتراءى لى أصحابى فاحمل حتى أكون مع أصحابى قال فعمّر زمانا طويلا من دهره ذكره الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد وقال اسناده حسن .

وكذلك اسماع الصوت وسماعه من البعد ومعرفة عين الشخص واسمه واسم أبيه بمعرفة الروح . وانطواء السير فوق المعتاد وغير ذلك مما اشتملت عليه كتب السنة والسير .

وقد يكون سبب انكارهم جفاء الطبع وكثافة النفس وظلام القلب أو استيلاء خلق الجبرية أو الكبر أو الرياسة الدنيوية أو الدعوى بالعلم الظاهر أو استيلاء الحسد أو كون الغالب على الطبع خلق الشر فيعادى أهل الخير عداوة الجنس المضاد أو استعظام ذلك واستبعاده بسبب الجهل بما هيأ الله له عبده المؤمن من تحمل أسرار الايمان وما يكون لروحه من النور والأثر . وما ضمنه الله له من استجابة دعائه أو ابرار قسمه .

وقد يكون بسبب غلبة ملاحظة الإنسان للبشرية ومقتضياتها والغفلة عن الخصوصية أو تنكر الحال لأمور اقتضت ذلك . فقد يكون الولى لا يحب اطلاع الغير على ما عنده كما يكره الغنى اطلاع الناس على مقدار ماله فينكمش ويتظاهر بما يطرد عنه من لارجاء فيه ولا خيرية ، قال نجم العرفان الشيخ أحمد بن المبارك الفاسى فى مناقب شيخه الشريف قطب العارفين عبد العزيز بن مسعود الدباغ الادريسى الحسنى الفاسى : وسمعته رضى الله عنه يقول : إن الذين بالغوا فى كرامات الأولياء رضى الله عنهم وإن نفعوا الناس من حيث التعريف بالأولياء فقد اضروا بهم كثيرا من حيث إنهم اقتصروا على ذكر الكرامات ولم يذكروا شيئا من الأمور

الغالية التي تقع من الأولياء الذين هم تلك الكرامات حتى إن لو اقف على كلامهم إذا رأى كرامة على كرامة وتصرفا على تصرف و كشفا على كشف توهم أن الولى لا يعجز فى أمر يطلب منه ، ولا يصدر منه شىء من المخالفات ولو ظاهرا فيقع فى جهل عظيم لأنه يظن أن الولى موصوف بوصف من أوصاف الربوبية وهو أنه يفعل ما شاء ولا يلحقه عجز ، وبوصف من أوصاف النبوة وهو العصمة .

والأمر الأول من خصائص الربوبية ولم يعطه الله لرسله الكرام فكيف بالأولياء قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) . وقال (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) . وقال صلى الله عليه وآله وسلم سألت ربى اثنين فأعطانيهما وسألته اثنين فمنعنيهما قال الله تعالى : (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم) فقلت أعوذ بوجهك الكريم . فقال : قد فعلت (أو من تحت أرجلكم) فقلت : أعوذ بوجهك . فقال : قد فعلت (أو يلبسكم شيعا) فقلت : أعوذ بوجهك فقال: قد سبق القضاء (ويذيق بعضكم بأس بعض) فقلت : أعوذ بوجهك . فقال : سبق القضاء . وقال تعالى فى سؤال نوح نجاة ابنه من الغرق : (ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين). وقال تعالى: (وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) .

والناس اليوم إذا رأوا وليا دعا فلم يستجب له أو رأوا ولده على غير طريقه أو امرأته لا تتقى الله قالوا ليس بولى إذ لو كان وليا لاستجاب الله دعاءه ولو كان وليا لاصلح أهل داره . ويظنون أن الولى يصلح غيره وهو لا يقدر على اصلاح

نفسه قال الله تعالى : (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء) .

وأما الأمر الثانى وهو العصمة فهو من خصائص النبوة والولاية لاتزاحم النبوة قال رضى الله عنه . والخير الذى يظهر على يد الولى إنما هو من بركته صلى الله عليه وآله وسلم إذ الإيمان الذى هو السبب فى ذلك الخير إنما وصل إليه بواسطة النبى صلى الله عليه وآله وسلم . أما ذات الولى فإنها كسائر الذوات بخلاف الأنبياء فإنهم جبلوا على العصمة وفطروا على معرفة الله تعالى وتقواه بحيث إنهم لايحتاجون إلى شرع يتبعونه . ولا إلى معلم يستفيدون منه والحق الساكن فى ذواتهم وهو حرف النبوة الذى طبعوا عليه يسلك بهم النهج القويم والطريق المستقيم .

قال رضى الله عنه ولو أن الناس الذين ألفوا فى الكرامات قصدوا إلى شرح حال الولى الذى وقع التأليف فيه فيذكرون ما وقع له بعد الفتح من الأمور الباقية الصالحة والأمور الفانية لعلم الناس الأولياء على الحقيقة . فيعلمون أن الولى يدعو تارة فيستجاب له وتارة لايستجاب له . ويريد الأمر فتارة يقضى وتارة لايقضى . كما وقع للأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ويزيد الولى بأنه تظهر الطاعة على جوارحه تارة وتظهر المخالفة عليها كسائر الناس وإنما امتاز الولى عنهم بأمر واحد وهو ماخصه الله تعالى به من المعارف ومنحه من الفتوحات ومع ذلك فالمخالفة إن ظهرت عليه فإنما هى بحسب ما يظهر لنا لا فى الحقيقة لأن المشاهدة التى هو فيها تأبى المخالفة وتمنع المعصية منعا لاينتهى إلى حد العصمة حتى تزاحم الولاية النبوة فإن المنع من المعصية ذاتى فى الأنبياء عرضى فى الأولياء فيمكن زواله فى الأولياء ولا يمكن زواله فى الأنبياء ، وسره ماسبق وهو أن خير الأنبياء من ذواتهم . وخير الأولياء من غير ذواتهم . فعصمة الأنبياء ذاتية وعصمة الأولياء عرضية . فإن العارف الكامل إذا وقعت منه مخالفة فهى

صورية لاحقيقية قصد بها امتحان من شاهده واختباره ولذلك أسرار فنطلب من الله تعالى أن يوفقنا للايمان بأوليائه . كما وفقنا للايمان بأنبيائه عليهم الصلاة والسلام .

وقال رضى الله عنه : من علم سيرة النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى أكله وشربه ونومه ويقظته وجميع أحواله فى بيته . وعلم سيرته فى حروبه وغزواته وكيف يدال له مرة ويدال عليه أخرى . وكيف يطلب منه أناس قوما من أصحابه ثم يذهبون ويغدرون بهم كما فى غزوة الرجيع وغزوة بئر معونة . وعلم ماوقع فى قصة الحديبية وغيرها ولكل ذلك أسرار ربانية أطلع الله تعالى عليها نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ـ هانت عليه معرفة الأولياء ولا يستكثر مايراه على ظاهرهم من الأمور الفانية . والأوصاف البشرية . فعلى العاقل الذى يحب الخير ويحب أهله أن يكثر من مطالعة سيرته صلى الله عليه وآله وسلم فإنه يهديه ذلك إلى معرفة الأولياء العارفين ولا يشكل عليه شىء من أمورهم . وهذا القدر هو الذى يمكن أن يبينه القلم ، والعاقل اللبيب تكفيه الاشارة والله الموفق انتهى .

ومن المنكرين قوم آخرون لم يفهموا من معنى الولى إلا الكرامات وقد يكون عندهم اطلاع ومطالعة وفهم لأمور كثيرة ولكنهم خالون من سرّ الدين وهو التأليه والتعبد لله وابتغاء التقرب إليه وإدامة ذكر الله واخلاء القلب عن ذكر غيره وعن الوسواس فيه وتعليق القلب به . وإن سمعوا بشىء من هذا أو مرّ بهم فى مطالعة أو محادثة مرّ بأذهانهم كما يمر الطيف الخفى ثم لايكون له عندهم أثر ولا يرفعون له رأسا .

وهم مع هذا الغلط الفظيع وجعلهم خاصة الولى إنما هى الكرامات يسلكون بها مسالك أمور الكهانة والحيل وآثار الطبائع الشاذة وما يكون من مرتاضى الهنود المعروفين فى القديم بالجوكية وأعمال المندل المعروف فى الزمن الحديث بالتنويم

المغناطيسى واستحضار الأرواح المعروف فى القديم باستحضار الجان. وأعمال أهل الرق والايهام . وقراءة الأفكار ونحو ذلك من الأمور الغريبة الخارجة عن المعتاد وهى كثيرة فى هذا العالم وليس عندهم من الإيمان مايعرفون به الفرق بين هذا وهذا . فهم لا يميزون بالصالح ذى الكرامات كما لا يعبئون بالصالح الذى لا كرامة له . وهؤلاء لادواء لهم إلا حصول الهداية للايمان . والهداية بيد الله . فلا ينبغى الاشتغال بهم . فإن حجابهم كثيف ومن شك فى كرامة الله تعالى لصالحى عباده بالشبهة المذكورة لحقيق به أن يشك فى معجزات الانبياء صلوات الله عليهم . فصالحو هذه الأمة إنما حصل لهم ماحصل من بركات متبوعهم الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم .

فالكرامات لأولياء الله تكون تثبيتا لقلوبهم أو للتعريف بقدرهم والنصرة لهم أو اجراء لطف من الله على أيديهم قال الله تعالى: (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك) . وقال تعالى : (وهو يتولى الصالحين) وقال فى الحديث القدسى من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب . وقال : ولئن سألنى لأعطينه . ولئن استعاذنى لأعيذنه ، ومن آتاه الله نورا وفرقانا لم يخف عليه ما كان عن حق وما كان عن باطل . فإن هذا العالم فيه الحق والنور وأهله. وفيه الباطل والظلام وأهله. ولكل فريق منهم ما يفرح به ويطمئن إليه ليبلغ الكتاب أجله وتتم كلمة ربك صدقا وعدلا . وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين .

وأهل الحق يفتح الله عليهم فى كل ما يقربهم منه ويزدادون به إيمانا من علوم الكتاب والسنة وأسرارها وأنوارها . وأهل الظلام يفتح لهم فى كل مايقطعهم عن الله وعن ذكره والإيمان به ومايزيدهم انقطاعا و بعداً واشتغالا عن الله من الأمور الفانية وما تنكسف به عقولهم فيزدادون كل يوم بعدا وانقطاعا وظلمة وتتولاهم الشياطين. وتكون لهم من الأمور العجيبة مايركنون

إليه . وقد ذكر الشيخ أحمد بن المبارك أشياء غريبة من ذلك يظنونها حقائق نافعة ثابتة وماهى إلا خيالات وأطياف وألاعيب شيطانية يزدادون بها خروجا إلى الظلام والكفر (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات). وسيأتى فى الفصل بعد هذا ما فهم به شيئا من الفروق بين الفريقين فإن العمل بالرياضة والتعمل لخروج مافى الروح قد ينتج أعمالا جزئية تكون سببا لتولى الشيطان لسوء القصد وعدم صحة الديانة والله ولى المتقين .

وأما الغلو فى الأولياء فسببه الجهل وقلة المعرفة بعقائد الدين وقد ينتهى ذلك ببعض الناس إلى أن يثبت لهم القدرة على الضر والنفع كما يثبت ذلك لله عزوجل، وهذا انتكاس على أم الرأس وفقد لحقيقة الإيمان والإسلام. قال الإمام العارف بالله محيي الطريق . وداعى الفريق . الحبيب عبد الله بن علوى الحداد العلوى الحسينى التصرف الحقيقى الذى هو التأثير والخلق والايجاد لله تعالى وحده لاشريك له ولا تأثير للولى ولا غيره فى شىء قط لاحيا ولاميتا فمن اعتقد أن للولى أو غيره تأثيرا فى شىء فهو كافر بالله تعالى انتهى .

وللشيخ العلامة ناشر العلوم . وينبوع الفهوم . الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان الكندى كلام فى مواضع متعددة من مؤلفاته يحذر من الغلو المفسد للعقيدة . والمؤدى إلى الشرك والقطيعة . وللشيخ العارف بالله عمر بن عبد الله بامخرمة السيبانى أبيات مشهورة وقد أخبرنا شيخنا رضى الله عنه بكلام فى ذلك عن شيخه العارف بالله ذى المقامات والأحوال صالح بن عبدالله العطاس العلوى الحسينى والحمد لله على توفيقه وهدايته .

وقال الشيخ أحمد بن المبارك عن شيخه تاج العارفين السيد الشريف عبد العزيز وسمعته رضى الله عنه يقول إن الأولياء يفعلون أمورا عظيمة سخرهم الحق سبحانه فيها حتى يتعجب من تلك الأفعال وإذا نظرت بعين الحقيقة وجدت

الفاعل لها هو الحق سبحانه وهم محمولون كغيرهم من المخلوقات من غير فرق انتهى .

وقال الشيخ أحمد بن المبارك وسألته رضى الله عنه لم كان الناس يستغيثون بذكر الصالحين دون الله عز وجل فترى الواحد منهم إذا جهد فى يمينه يقول وحق سيدى فلان كسيدى عبد القادر الجيلانى أو سيدى عبد العزيز أو سيدى أبى العباس السبتى وغيرهم نفعنا الله بهم وإذا اراد أن يحلف أحدا ويؤكد عليه فى يمينه يقول احلف لى بسيدى فلان .

وإذا أصابه ضرر وأراد أن يسأل كالسعاة الذين يتكففون الناس خرج باسم سيدى فلان وهم فى ذلك كله منقطعون عن الله عز وجل .

وإذا قيل لهم توسلوا بالله أو احلفوا به أو نحو ذلك لا يقع ذلك الكلام منهم موقعا فما السبب فى ذلك (فذكر) جواب شيخه وحاصله أن سبب ذلك قوة ظلام ذواتهم وانقطاعهم عن الله تعالى قال ومما يدلك على كثرة المنقطعين وزيادة الظلام فى ذواتهم أنك ترى الواحد يخرج من داره بعشرين موزونة مثلا ويذهب بها الى ضريح ولى من أولياء الله تعالى فيطرحها عنده ليقضى له حاجته وكم من فقير محتاج يلقاه فى الطريق ويطلب منه متاع الله فى سبيل الله لوجه الله فلا يعطيه درهما واحدا حتى يبلغ الولى فيطرحها عند رأسه وهذا من أقبح ما يكون وسببه أن الصدقة لم تخرج لله عز وجل وعظمته وكبريائه ووجهه الكريم وجوده العظيم اذ لو خرجت لذلك لدفعها صاحبها لكل محتاج لقيه لكن لما كان الحامل عليها والداعى الى إخراجها هو قصد النفع لنفسه واستكمال أغراضه وحظوظه خص بها موضعا دون موضع لظنه أن النفع يتبع ذلك الموضع وجودا وعدما .

قال رضى الله عنه وقد رأيت فى هذا اليوم ما أهدى للصالحين من باب

تلمسان الى الساقية الحمراء فإذا هو من الدنانير ثمانون دينارا ومن الغنم ثلاثمائة وستون شاة ومن البقر اثنان وسبعون ثورا أخرج هذا كله فى يوم واحد للصالحين وما أخرج لله فى ذلك اليوم عشرة دراهم قال وهذا سبب من الأسباب الموجبة للانقطاع عن الله عزّ وجل الطارئة على هذه الأمة من غير شعور لأكثرهم بها .

أما الجهل بكيفية الانتفاع بهم فإن أكثر الناس إذا علموا بولىٍّ فإنما يأتون إليه ليدعوَ لهم بمطلب دنيوى أو لينالوا منه كرامة فى صلاح أغراضهم الدنيوية فقط من غير نظر إلى الاسترشاد به وقبول نصيحته وقد يكونون مع ذلك فى غاية الجهل بالعقيدة الدينية على وجهها أو معتقدين لعقائد هى بِدَع مهلكات وقد يكون منهم التارك للصلاة والزكاة والصوم وغير ذلك من فرائض الله أو مستحلٌّ للكبائر كقتل الأنفس ونهب الأموال بغير حق وغير ذلك من الجرائم فأمثال هؤلاء إنما يداريهم الولى على ظاهر أمرهم . استكفاء لشرهم . كما كان صلى الله عليه وآله وسلم يعامل المنافقين على ظاهر أمرهم ويكِل سرائرهم إلى الله . ومن طلب منهم دعاء أو مطلبا دنيويا وافقه عليه استجلابا لقلوبهم ورجاء لتوبتهم . وقد يتوسل بذلك إلى كفِّ شرهم عن الضعفاء وإطفاء فتنة قامت من جهتهم على ما يقتضيه الحال المقدور عليه فى الزمان والمكان دفعا لأكبر الشر بأصغره . فعلى مثل هذا تكون مقاصد أهل الله فى معاملتهم ولا يتركون نصحهم وموعظتهم ما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

قال الشيخ أحمد بن المبارك عن شيخه : وسمعته رضى الله عنه يقول إن الغرض من الولى هو الدلالة على الله تعالى والجمع عليه والتزهيد فيما سواه فإذا جعل القاصد إليه يطلب منه قضاء الحوائج والأوطار ولا يسأله عن ربه ولا كيف يعرفه مقته الولى وأبغضه ، وهو السالم إن نجا من مصيبة تنزل به وذلك لأمور - منها أن محبته للولى ليست لوجه الله وإنما هى على حرف . والمحبة على حرف خسران مبين لا ينزل عليها نور الحق أبداً . ومنها أن الولى يراه فى تعلقه بغير

الله تعالى فى عين القطيعة وهو يريد أن ينقذه منها . والعبد يريد أن يزيده منها فإن الولى يراه ترك التمرة وأخذ الجمرة فالتمرة معرفة الله تعالى والعكوف بين يديه والجمرة هى القطيعة عنه والقصد إلى غيره والميل إلى الدنيا والركون إلى زخارفها . ومنها أن الولى إذا ساعده فى قضاء بعض الأوطار وقابله ببعض المكشوفات ربما يظن العبد أن هذا هو الذى ينبغى أن تقع المعرفة عليه وفيه يرغب الناس وليس وراءه مطلب وكل ذلك ضلال وموجب لمقت الولى له .

* * *

قال وقد سمعت شيخنا رضى الله عنه يقول إنما مثل الولى كمثل رجل عمله صنعة الفخار فيه يحرك يده وتعمل جوارحه ومع ذلك فعنده الخزائن التى يحتاج إليها الناس من طعام وغيره والخزائن وإن كانت عنده فقلبه معرض عنها لا تقع عنده ببال ولا تساوى عنده شيئاً ، ولا يحب الكلام إلا فى عمل الفخار وصنعته ويكره غاية الكراهة من يتكلم معه فى غيره ويبغضه حتى يخاف ذلك المتكلم أن يناله ضرر من الرجل المذكور . فإذا جاءه رجلان وقد علما حالته وبغضه للكلام فى غير عمل الفخار وأرادا منه شيئا من تلك الخزائن فالموفق منهما والكيِّس هو الذى يتكلم معه فى عمل الفخار ويسأله عن صنعته وكيف يعمل ولا يزال هذا دأبه حتى يناله من الرجل محبة عظيمة ومودة كبيرة فإذا سأله بعد ذلك شيئا من تلك الخزائن مكّنه منه ولا يقع له ضرر منه ، والذى يأتى لذلك الرجل ويطلب منه أولا شيئا من تلك الخزائن ويتكلم معه فيها فإنه إن سلم من ضرب الرجل له بفخارة على رأسه كان هو السعيد ، وكان ربحه هو سلامته لا غير فهذا مثل الولى لا صنعة له إلا معرفة الحق وما يوصل إليه ولا يحب كلاما إلا فيه ولا جمعا إلا عليه ولا وصولا إلا منه ولا قربا إلا إليه . فمن عرفه على هذا ربح منه الدنيا والآخرة ، ومن عرفه على غير هذا كان على العكس . انتهى .

(قلت) وهذه صفة شيخنا رضى الله عنه فإن حديثه كله فى ذكر الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومذاكرة العلم وقراءة كتبه والوعظ والنصيحة وذكر سير الصالحين والاشتغال بالتلاوة والأوراد والدعاء وإقامة الفرائض فى الجماعة والاستكثار من النوافل مع المداومة على ذلك لا يقطعه عن ذلك قاطع . وكان يؤثر على الناس إذا حضروه فيجذبهم إلى ما هو عليه ولا يترك لهم فرصة التكدير لمجلسه أو ادخال حديث الدنيا فيه وهكذا كان حال شيخه الحبيب صالح بن عبد الله قال لى إن الحبيب صالحا لا يتأثر بأحد ولا يأخذ مجلسه أحد بل يستولى على الحاضرين فيغمرهم بما هو ديدنه فلا يشتغل معهم إلا بنصح أو ذكر أو نشيد أى بذكر الله تعالى قال وكان الحبيب أبو بكر بن عبد الله يتأثر بحال جليسه فلا ينال منه شيئا مع عدم الإقبال والتشوف أو كما قال فربما زدت كلامه بيانا رضى الله عنه ونفع به آمين .

الفصل الرابع

فى طريقة شيخنا وهى طريقة أسلافه السادة العلويين

اعلم أن طريقة شيخنا رضى الله عنه هى طريقة أسلافه السادة العلويين الحسينيين الحضرميين وقد ألفت فى التعريف بها رسائل مجملة لأنها مشروحة فى الكتاب العزيز والسنة النبوية وسيرة السلف الصالح بغير غُلُوٍّ ولا تشديد ولا استحداث أوضاع وتخيلات لاستجلاب الخوارق ولا جمع فكر وتوجه لغير الله ولو على جهة الارتباط ولا وضع من حركات واستحضارات واستخدام وإنما طريقتهم الزهد وجمع القلب على الله والعزلة والإقبال على اداء الفرائض والاكثار من النوافل وذكر الله مع الحضور والإخلاص وكف النفس عن الشهوات وغير ذلك مما سيأتى شرحه باجمال .

قال سيدنا الإمام عبد الله بن علوى الحداد رضى الله عنه ذات يوم وقد جرى

ذكر الطريق وحكمها وما ابتدع من الكيفات المعروفة فيها فأخذ رضى الله عنه في الكلام على طريق آل أبي علوى ومدحها وشيّدها وأطال فى ذلك جدا وقال إن طريق آل أبي علوى أقوم الطرق وأعدلها . وسيرتهم أحسن السير وأمثلها . وأنهم على الطريقة المثلى والمهيع الأفيح . والمشرع الأوضح . والسبيل الأسلم الأصلح .

وقال رضى الله عنه : لا يصح لأحد من آل باعلوى أن يخالف المنهج الذى درج عليه أسلافه ولا أن يميل عن طريقتهم وسيرتهم بان يتبع وينجرّ ويلقى القياد لكل من يدعى التسليك والتحكيم ممن تخالف سيرته وطريقته طريق آل أبي علوى وسيرتهم . لأن طريقتهم هى التى يشهد لصحتها الكتاب والسنة الكريمة والآثار المرضية وسيرة السلف الكرام لأنهم تلقوا ذلك خلفا عن سلف وأبا عن جد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم فى ذلك متفاوتون فمن فاضل وأفضل وكامل وأكمل .

وقال رضى الله عنه إنما يحسن وينبغى لمن كان من آل أبي علوى أن يدعو الناس ويستتبعوهم إلى الطريقة التى هم عليها . ولا يحسن أن ينبذوا طريقة سلفهم ويسجلوا على أنفسهم أنهم ليسوا من أولى الطريقة الحميدة . اللهم إلا أن يكون ذلك على سبيل التبرك مع تمسكهم بسيرة أسلافهم واعتمادهم عليها . ومع ذلك فإنه لا يبارك لأحد من آل أبي علوى أبدا إذا طرح طريقة سلفه وتزيا بغير زيهم رضى الله عنهم .

وقال رضى الله عنه ما من أهل طريق إلا وقد خلطوا وبدلوا وخالفوا هدى سلفهم ما عدا آل ابى علوى .

وفى (تبصرة الولى بطريق السادة بنى علوى) التى تلقاها السيد الشريف العارف بالله الحبيب أحمد بن زين الحبشي عن سيدنا الإمام عبد الله بن علوى

الحداد العلوى الحسينى قال : سمعت منه . قال الله تعالى (وانك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) فهو صلى الله عليه وآله وسلم الهادى بنور الله تعالى من يشاء من عباده ممن سبقت له من الله العناية إلى الصراط المستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وهو الصراط المشار إليه باسم الإشارة الذى للقريب المشاهد . فى قوله تعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله) وهو المشروح فى الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . والمبيّن بقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم وفعله وتقريره والمشاهَد من أحواله فى سيرته وأخلاقه كما عليه أكابر الصحابة وأهلُ بيته ثم صالحو السلف التابعين باحسان فتابعيهم كذلك وقد نقل ذلك الإمامان أبو طالب المكى فى قوته وأبو القاسم القشيرى فى رسالته ومن نحا نحوهم ، ثم فصّل ذلك وهذبه وحرره وبوّبه وقرره ونقّحه حجة الإسلام الغزالى وهو طريق السادة العلويين الحضرميين الحسينيين تلقوه هكذا طبقة عن طبقة وأبا عن أب وتوارثوه من لدن الحسين وزين العابدين والباقر والصادق وغيرهم من أكابر السلف هكذا إلى الآن ، وبهذا يعلم أن طريق السادة العلويين ليس إلا الكتاب والسنة وهم درجات عند الله والله بصير بما يعملون . فمن متوسط فى ذلك وكامل وأكمل فهم على المهيع الواسع الموصل إلى الله تعالى ، من سار عليه وصل إلا أن سلوكهم متفاوت فمن سالك فى مسلكه الأوسطَ وهو عزيز جدا . ومن منتهج جانبا منه . ومن سائر على طرف سويّ ومن سائر بسير السائرين عليه .

فعلم أن طريقة السادة آل باعلوى هى صراط الله المستقيم . وهم الذين أنعم الله عليهم بطاعته وطاعة رسوله ومعية النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما .

وما خالف طريقة آل باعلوى بحيث يضادها فهو من السُبُل المتفرِّقة عن سبيل الله تعالى لأن مدار طريقتهم على عقيدة السلف الصالح وتصحيح التقوى والزهد فى الدنيا ، ولزوم التواضع ومعانقة العبادة ، ومواصلة الأوراد واستشعار الخوف ، وكمال اليقين ، وحسن الأخلاق ، وإصلاح النيات ، وتطهير القلوب والطويات ، ومجانبة العيوب الخفيات والجليات ، وحقيقة الفاضل والأفضل ماهو كذلك عندالله . وعندية الله هنا ما علمه فى خلقه ، ولا يحيط أحد بشىء من علمه إلا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم .

والقرب إليه سبحانه وتعالى يكون بحسب قوة الايمان واليقين والإحسان وإقامة الفرائض والاكثار من النوافل ، والتخلق بأخلاق نبيه صلى الله عليه وآله وسلم المتخلق بأخلاق الله من الرحمة والرأفة وملك الأشياء والتقديس عن الأوصاف غير الكاملة والسلامة منها وإعطاء الأمان ، والاطلاع على حقائق الأمور . وعلو الرتبة إلى آخر الأوصاف الحسنى وكل هذا من الحق الواضح .

والكلام عليه تبيين للحق إن شاء الله وتحدُّث به لأن الفخر فى الدين منفى بنفى الشارع صلى الله عليه وآله وسلم وإن قصده قاصد فهو مخطىء حيث اثبت منفيا إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر. نفى الفخر وبين الحق . وأظهر نعمة الله وتحدث . وهذا شىء سمعته من سيدنا وشيخنا الإمام السيد الحبيب عبد الله بن علوى الحداد باعلوى الحسينى السنى ومما يقاربه افظا ويشبهه بمسجد الأوابين عشية الثلاثاء العاشر من شهر ذى القعدة الحرام سنة ١١٠٩ تسع بتقديم التاء المثناة فوق ومائة وألف انتهى ملخصا من تبصرة الولى . وقد قرر هذا الكلام سيدنا الحبيب المذكور بقوله فيما وجدته مكتوبا .

الحمد لله وحده . الذى فهمه السيد الشريف الفاضل المنيف أحمد بن السيد

الأكرم زين العابدين الحبشي علوى من شأن المذاكرة ثم بينه وأوضحه . كما شرحه وأبان عنه . وهو محل ذلك وأهله جعله الله شهابا ثاقبا في سماء الدعوة إليه والهداية إلى سبيله يستضيء به السائرون ، ويبصر ويهتدى به الحائرون ، ولا زال في رقيٍّ ومزيد حتى يبلغ الغاية القصوى مصحوبا بلطف الله وعافيته وكمال تأييده وتسديده وإلى الله سبحانه وتعالى المصير والمنتهى وله المنة والحمد وهو الحاكم في الآخرة والأولى وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الذى به الله هدانا وبيمنه وبركته أولانا ما أولانا ربنا وسيدنا ونرجو من فضله المزيد بفضله . وأن الفضل له وبيده وهو ذو الفضل العظيم أملاه العبد الفقير عبد الله بن علوى الحداد علوى عشية الخميس ثانى عشر من الشهر المذكور بالتاريخ المتقدم .

وقال رضى الله عنه طريق السادة آل باعلوى العقيدة التامة . والتعلق بالشيخ والاعتناء من الشيخ . والتربية بالسرِّ وهى طريقة السلف كالحسن البصرى وغيره ، وقال رضى الله عنه نحن لا نمشى إلا على الطريق الأكبر المستقيم الذى لا يكون فيه اعتراض لأحد وهو المهيع الواسع قال الله تعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله) .

وقال سيدنا إمام العلوم العقلية والنقلية أحمد بن زين الحبشى نفع الله به في تعريفه لطريقة سلفه وحزبه : طريق السادة آل أبى علوى إنما هى العلم والعمل والورع والخوف من الله والاخلاص له عزَّ وجل انتهى .

وقد ذكر شيخنا الإمام ، الملهم الحبيب عيدروس بن عمر الحبشى في (عقد اليواقيت الجوهرية) نقولا كثيرة في ذلك كما ذكر الإمام الداعى إلى الله مفتى الشافعية بمكة المحمية الحبيب محمد بن حسين الحبشى نحوا من ذلك في رسالته (العقود اللؤلؤية ، في بيان طريقة السادة العلوية) وللامام المجهد المسند الحبيب

عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بلفقيه العلوى الحسينى جواب سؤال عن الطريقة العلوية ذكره فى (عقد اليواقيت الجوهرية) فراجعه .

وقال الحبيب قطب الإرشاد عبدالله بن علوى الحداد . قد يجمع الله لبعض الخواص من المؤمنين بين العلوم الظاهرة والباطنة . ويؤهله لنفع الخاصة والعامة . وعلم الشريعة وسلوك الطريقة وشهود الحقيقة . وكان على هذا الوصف جماعة من السلف الصالح ومن أهل البيت السادة بنى علوى جماعة يطول تعدادهم كانوا على هذا الوصف يعرف ذلك من نظر فى سيرهم وطالع فى أخبار مناقبهم نفعنا الله بهم وأفاض علينا من بركاتهم .

ومن رجال هذه الطريقة من كان شأنه الاقتصار من العلم على ما لابد منه والأخذ فى العبادة والتبتل إلى الله والانقطاع إليه . والتفرغ من كل مايشغل عنه سبحانه وعن طاعته . والانقباض عن الناس والفرار منهم . وخروج الكثير منهم إلى الجبال والشعاب . والسياحة فى الفيافى والقفار رياضة للنفوس وقطعا لعوائدها ومألوفاتها . وتصحيحا لمقامات اليقين من التوكل على الله والاخلاص له والزهد فى الدنيا وفى المال والجاه والمنزلة فى قلوب الناس . وكان الأكثر من رجال الله على هذا الوصف وهذا السبيل . تفرغ أمثال هؤلاء الذين ذكرناهم للعمل والعبادة والاعتزال عن الناس والاقبال بكنه الهم على الدار الآخرة . وترك مايشغلهم عن ربهم وعن طاعته والتجرد لعبادته كائنا من ذلك ما كان والصادقون من أهل هذه الطريقة قد قلّوا وعزوا حتى صاروا أعز من الكبريت الأحمر . وأهل هذه الطريقة أحرص الناس على الاستتار والخمول والفرار عن الناس خصوصا عند فساد الزمان .

وقال رضى الله عنه . طريقة آل باعلوى من تأملها عرف أنها هى الطريقة الوسطى المعتدلة التى لاتنكر من تواضعهم وزهدهم وفقرهم وخمولهم وسلامة

صدورهم ومن صحب أحدا منهم لابد له من أن يقتدى به ولو فى بعض الشىء على حسب الحال والزمان وإلا خرج إلى الخلاء أى خرج عن طريقتهم حيث لم يتشبه بهم .

وقال رضى الله عنه آل أبى علوى مطهّرون من رأى أحدا منهم هابه بديهة وربما لم يعجبه وإذا اختبر باطنه وجده بعكس ظاهره وقال لايخلو الزمان من أفاضل آل أبى علوى حتى يخرج المهدى الموعود به إما خامل مستور أو ظاهر مشهور . ولما سأله بعض الناس فى شأن طريقة آل أبى علوى قال له انظر إلى الأعمال لا إلى لأقوال .

ذكر شىء من كلام شيخنا فى الطريقة العلوية

اعلم أن لشيخنا فى شرح الطريقة العلوية كلاما كثيراً فى مجموع كلامه . ولا سبيل إلى الإطالة بنقله . ولكننا نذكر منه نموذجا يكون دالا على ماوراءه .

قال رضى الله عنه كان السلف الصالح من العلويين وغيرهم يربُّون طالب العلم على سلامة الصدر وحسن الظن بالله وبخلق الله . والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة . ومراعاة الحقوق لأهلها . وتعظيم العلم والعلماء والأولياء والمؤمنين والمسلمين ويراقبون قلوبهم وأسماعهم ويحفظونها عن كل مايدخل التشويش مما حصل سابقا لأجل أن تبقى قلوبهم نقية وطاهرة وصافية . ونفوسهم مطمئنة وهممهم معلقة بالخير وأسبابه . هكذا كان شأنهم رضى الله عنهم . ومن ظهر عليه شىء من الأخلاق المذمومة يُحذّرونه منه لا غير . ولا يذكرون له باقى الأخلاق المذمومة إلا إن وقع فى شىء منها لأن ذلك مشوش على الطالب الراغب .

وكان رضى الله عنه يقول : أجعل السلف الصالح نصب عينيك . واقْتدِ بهم فى حركاتك وسكناتك . وإذا أردت فعل شىء اعرضه على الشرع وعلى

أحوال السلف وأفعالهم المقيدة بالشرع . والذين هم على بصيرة من الله فى جميع أحوالهم . فإن بلغك أن أحداً منهم فعل هذا الفعل الذى أردته فافعله واقتد به وإن لم يبلغك أن أحداً منهم فعله فاياك والمحدَثات والمستحسنات الناشئة عن الهوى ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقال رضى الله عنه سلفنا يقولون إن طريقتهم ظاهرها غزالية . مايتركون الأعمال . وباطنها شاذلية ما يعتمدون على الأعمال . مايسلكون إلا بالرجاء والشوق . والخمول طبعُهم لا أنهم يقصدونه وأمثال هـذه الأحوال يعنى الكشوفات ونحوها مايقصدونها ولا ينظرون إليها لأنها تقطعهم عن ربهم . ومن شأن سلفنا أنهم يربُّون الطالب حتى يكون عالما عاملا من غير أن يشعر .

وقد سئل رضى الله عنه عما إذا وجد المرء فى قلبه رقة وخشوعا وهو فى صلاته هل يستمر مع ذلك أم يعود إلى التفكر فيما يقرأ وهل يكون مايجده من ذلك من الشيطان فأجاب بقوله : سلفنا مايعتمدون إلا على ربهم . وإذا كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما أتى بصورة عائشة رضى الله عنها فى سرقة من حرير وأخبر بأنها زوجته قال : إن يكن هذا من عند الله يمضه فكيف نكون نحن . فسئل عن توضيح ذلك فقال الواردات الإلهية إذا وردت على القلوب أو لاحت بارقة للقلوب لايميل المرء إليها إن يكن من عند الله يمضه (أى ينفذه ويوجده فى الخارج) .

وسئل رضى الله عنه بتريم سنة ١٣٢٠ عن تعريف الطريقة العلوية فقال ظاهرها غزالية . وباطنها شاذلية . وإن شئت فقل هى سلامة واستقامة . وإن شئت فقل هى مقابلة وإقبال وإن شئت فقل هى تخلى وتحلى . وإن شئت فقل هى هدى وسكون . وإن شئت فقل هى محو وإثبات . وإن شئت فقل هى تعمُّل وتجمُّل وإن شئت فقل هى سلامة وتسليم . وحقيقة ذلك كما قال تعالى :

(من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين) . وهى كما قال الحبيب عبد الرحمن بلفقيه اتباع المنصوص على وجه مخصوص .

وسئل رضى الله عنه مرة ثانية عنها وقيل له إن بعض الناس يقول لم تبينوها كما ينبغى وإن الاشكال واقع معه . فقال رضى الله عنه إنهم فى هـذا الزمان مايبحثون إلا عن الألفاظ لا المعانى . وطريقة السلف أن يفعل فى محل الفعل ويترك فى محل الترك . وينوى فى محل النية . ويعرض فى محل الاعراض وهى فى بيت من كلام الحبيب عبد الله الحداد : –

والزم كتاب الله واتبع سنة   واقتدْ هداك الله بالإسلاف

نقل هذا عنه تلميذه العلامة الشيخ محمد بافضل أو نحوه . وما أنكره شيخنا على السائل فى محله . فإن من عرف الطريقة الغزالية المشروحة فى كتب حجة الاسلام الغزالى وعرف الطريقة الشاذلية من كتب ابن عطاء الله مثلاوجمع بين الطريقتين عرف لامحالة ماهية الطريقة العلوية وكان ذلك لها خير تعريف كما قال رضى الله عنه إن طريقة العلويين غزالية الظاهر مايتركون الأعمال . وشاذلية الباطن مايعتمدون على الأعمال والمراد بالأعمال ما يتعاناه الصوفية من الاكثار منها والتجرد لها كما أن قوله رضى الله عنه هى سلامة أى من الزيغ فى العقيدة والوقوع فى المعصية . واستقامة أى على الحق عملا واعتقادا . تعريف جامع مانع لها . وهكذا ما قاله بعد ذلك وهذا بيان معناه .

فقوله هى سلامة واستقامة قد بينا مراده بذلك ثم قال : وإن شئت فقل هى مقابلة والمراد به مقابلة الأمر والنهى بالإيمان والتسليم . وقوله وإقبال المراد به الاقبال على امتثال ذلك أو الاقبال على الله بأدائهما وتوفيتهما .

وقوله : وإن شئت فقل تخلى وتحلى فالمراد بالتخلى أن يتخلى العبد عن

الصفات والأعمال السيئة وبالتحلى أن يتحلى أى يتصف بالصفات الحسنة موفيا بما تقتضيه من الأعمال الصالحة .

وقوله : وإن شئت فقل هى هدى وسكون . فالهدى هو الطريقة والسيرة وما يظهر على المرء من السمت الحسن والهيئة . وفى الحديث واهتدوا بهدى عمار أى سيروا بسيرته وتهيئوا بهيئته . ويقال ما أحسن هديه أى سمته وسكونه واستقامة أمره .

وذلك أمر يهتم به الأشياخ من السادة العلويين ويكثرون الإشارة إليه بالاقتداء بالمشائخ أهل الحق والعلم والتمكين فى هيئتهم وسمتهم وحركتهم وسكونهم والظاهر عنوان الباطن وكل منهما يؤثر ويتأثر من الآخر . وقد يكون المراد بالسكون الوقار الصادر عن نزول السكينة فى قلب العبد وهى معنى يجمع نورا وقوة وروحا وثقة بالله ومن ذلك قوله تعالى : هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ، والمراد بقوله وسكون أى سكون القلب الذى يتبعه لا محالة سكون الذات أى سكونه عن الخواطر السيئة والمرادات غير المشروعة، والنوازع النفسية والنوازغ الشيطانية .

وقوله : وإن شئت فقل هى محو واثبات . فالمراد بالمحو هو المراد بالتخلى أى محو الصفات السيئة عن القلب وإثبات أضدادها وأعلى من ذلك أن يمحو إرادة غير الله من قلبه ويثبت صدق الإرادة فى القصد إليه وأعلى من ذلك محو الرسوم وهو من أحوال أهل النهاية .

قال فى غاية القصد والمراد فى مناقب الإمام القطب عبد الله بن علوى الحداد . وأنشد رجل عند سيدى نفع الله به وكان صانعا محكما بقصيدة الشيخ السودى : ـ

لا تسل يا تحفة التحف ما بقلبى فيك من كلف

وكان عنده السيد الجليل حسن بن علوى الجفرى فلما بلغ المنشد قوله :ـ

ومحت رسمى كما محيت   احرف من باطن الصحف

حصل مع سيدى والسيد حسن تأثر عظيم فقال السيد حسن لسيدى عبد الله :
كم مرة سمعنا هذه القصيدة ولم يحصل معنا هذا التأثر فقال سيدى : نعم . إن الكلام مثل السيف إذا صادف ضاربا قطع وبلغ الغرض منه ، إشارة إلى إجادة المنشد وإحكامه أنتهى بنحوه .

وقول شيخنا وإن شئت فقل هى تعمُّل وتجمُّل فالمراد بالتعمل تكلف العمل والتأسى وتكييف النفس بالهدى والسمت وبالتجمل العمل فى تجميل الباطن بالأخلاق والظاهر بالأعمال والسيرة الحسنة .

وقوله وإن شئت فقل هى سلامة وتسليم فالمراد بالسلامة السلامة مما يوجب الانقطاع عن الله والبعد عنه . والتسليم له فى الأمر والنهى والقدَر .
ففى كل جملة مما قاله شيخنا تعريف تام جامع مانع للطريقة العلوية وكذلك قول الحبيب عبد الرحمن بلفقيه هى اتباع المنصوص . على وجه مخصوص . وإنك لتجد فى كتب الفقه تعريفهم للوضوء والتيمم بل والصلاة والصوم بما يشبه ما تقدم . ولم يقم عند السائل إشكال فى ذلك لأنه يعرفه أى الوضوء وما معه من قبل فمصدر الاشكال إذن هو خلو الذهن عن تصور الطريقتين الغزالية والشاذلية . وذلك ما سنبينه فى الفصل الآتى .

وقد سبق لى كلام فى شرح الطريقة العلوية والصوفية يتلخص منه فى تعريفها أنها تمرين النفس على العمل بالعلم . والتحقق بحقائق الإيمان . ومطالبة النفس بتحقيق العبودية وإخلاصها لا تصوف الحقائق المجردة الذى كانوا ينهون عنه أبلغ النهى ويعيبون من مال إليه ويمنعون أبناءهم عن مطالعة كتبه . ولا تصوف الأوضاع والرسوم .

وقال قطب العارفين . الحبيب عيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشى الحسينى . كان السادة بنو علوى . أدناهم فى العمل من يكون عنده ما يغنيه عن علم غيره من العلماء . وكان كل واحد منهم يحفظ مناقب أهله وسيرهم وكراماتهم وكان أكثر الأخذ منهم للعلم والأدب بالتلقى والتأدب بالحال لا بكثرة القراءة فى الكتب والقيل والقال حتى إن صاحب المشرع الروى إذا ذكر أحدهم قال : وتأدب بابيه . وكانوا شديدى الغيرة على طريقة سلفهم أن تشاب بشيء من الطرائق الأخرى حتى إن بعضهم أخذ عن بعض أهل الطرائق الأخرى فوجه إليه أكابر وقته العتب واللائمة . هذا إذا كان أخذ تحكيم . وأما أخذ التبرك فإنهم آخذون وقائلون به ويأخذون جميع الطرائق من غير منع ولا تحجير بل كانوا على هذا الوجه ممن كان عنده من صغير أو كبير حتى إن بعضهم له ألف شيخ اه .

قلت وكان شيخنا صاحب المناقب يطيل القول والبيان فى شأن التلقى والتأدب بالقدرة والتأسى والمحاكاة للمشائخ فى أعمالهم وحركاتهم وترتيب أوقاتهم وسمتهم وقال إن أسلافنا يربون أولادهم من صغرهم على العمل قبل العلم حتى إذا تأهل عرّفوه علم ذلك وأسراره أو كما أشار إليه وكان يقول ما معناه: إنكم ستجدون فى الكتب أو تسمعون حال فلان من المشائخ وقاله ولكن الأمر الذى لا تجدونه هو ما رآه المعاشر له من حركاته وسكناته وكيفية أعماله وتقلباته وما لا ينقل بالوصف ولا تحويه الألفاظ ولا تشتمل عليه الكتب أو نحو هذا مما يورده مرارا وقد يضرب لنا الامثال فى ذلك وإذا تأملت ما رواه الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجدت الكثير منه هو حكاية العمل وما شاكله وفى قوله صلى الله عليه وآله وسلم صلوا كما رأيتمونى أصلى وقوله خذوا عنى مناسككم ما يشهد لذلك وفيما وصفوا به عبد الله بن مسعود رضى الله عنه من أخذه بالسمت النبوى وغير ذلك مما يطول الفصل به .

فصل فى بيان أن مجموعى الطريقتين الغزالية

والشاذلية هو عين الطريقة العلوية

اعلم أنهم أجملوا الطريقة الشاذلية فى قولهم : - هى رؤية المنة لله . وملازمة الشكر . وإخلاص العبودية ، والبراءة من جميع الحظوظ ، والاعتراف بالعجز والتقصير .

هذا مجمل أصولها وقد أطالوا فى التفريع والتفصيل كما تراه فى كلام ابن عطاء الله ومن بعده . وهذه الأصول تومىء إلى معان عزيزة . ومقام رفيع . يستسيغ السامع ألفاظها وقد يستسهل التحقق بها ولا سيما إذا كان غِرًّا بعلل النفوس وصعوبة مراسها وعُضال دائها ، وطول عنفها وعنادها .

وهيهات هيهات العقيق ومن به وهيهات وصل بالعقيق نحاوله

فالمجاهدة والرياضة لابد منها وإن كانت الرياضة هنا قلبية فقد تكون أصعب شىء على النفس . ولا سيما إذا كانت من النفوس الحية . والأفئدة الغافلة . وقد تصبر النفس الخبيثة على حمل الأثقال ولو ناءت بها . ولكن يصعب عليها كل الصعوبة أن تبقى عندها الملاحظة التامة لتلك المعانى الشريفة فضلا عن التحقق بها والاتصاف بها وذوقها وذلك لمضادتها كل المضادة لما تنشأ عليه غالبا وشرح ذلك بالبيان الكافى يطول فنكتفى بالإشارة باختصار .

فاعلم أن المرء ينشأ من صغره شاعرا بوجوده . معتدا به . حريصا على بقائه متهالكا على ما يستلذه . مسارعا إلى مايهواه . حريصا على التملك مغتبطا بأعماله وحركاته . منقطعا إليها . فإن تحرك فى عمل صالح أعجب بنفسه واستعظم ما عمل ورأى أن ذلك إنما جاء من خيرية نفسه وعلو همته . وإن فاجأته نعمة رأى أنه كان يستحقها من قبل أو صار إلى حال تعجبه قدر فى نفسه أنه أهلها ومحلها وإن حصل

له شيء بعد عمل دنيوى أو أخروى قال هذا ثمرة عملى وإن تحرك فى تجارة مثلا فربح واغتنى قال هذا ثمرة فهى وجدى واجتهادى وقال انما أوتيته على علم . وإن نعلم فنبغ وتفوق قال إنما أدركت النبوغ والتفوق بحدة ذهنى وجودة فهمى وهكذا يستمر فى كل شأنه منقطعا إلى نفسه . غافلا عن ربه قد استولت عليه العلل النفسية . وتغلبت عليه الحظوظ والمقاصد المختلفة . يتردد نظره بين النفس والخلق . وتتردد خواطره بين مراداته وأعماله . منقطعا عن الله إليها والى مايصدر عنها . فلا يكاد تخلص له نية ولا يصفو له عمل ولا يتصور له إخلاص والكل فى الكل عنده نفسه ، لها يكدح ومن أجلها ينهض .

فإن سبقت له من الله عناية نالته نفحة من نفحات الله المنقذات المنجيات فايقظته من سنة الغفلة فاكتحلت بنور الذكر بصيرته . واستنار بضياء الفهم عقله . فرأى الأمور على حقائقها وعلم علما مقترنا بوجدان نقيّ ثابت وشعور موقظ وذوق صادق انه قد كان فى جلابيب من ظلمات الجهل سترت عنه ذلك . وتحقق أن كل ما وصل إليه من نعمة فى نفسه من علم وعمل ومال وجمال وصحة وغير ذلك إنما هى منّة محضة من الله سبق بها قضاؤه . ونفذ بها قدَره قبل خلقه . وتيقن أنه لم يكن له من الأمر شىء وأنه فى الحقيقة حرف جاء لمعنى فى غيره . إذ قدَره عز وجل شامل للاسباب والمسببات فيتحقق أن ذلك كله عطاء محض وإحسان من الله بلا سابق عمل ولا لاحق عمل فالعامل والعمل والثواب كله فضل من الله فاذا دام معه هذا الشهود وذاقه وتحقق به امتلأ قلبه تعظيما لمولاه المحسن واكبارا لاعتنائه به قبل خلقه بتقديره وبعد خلقه إياه بتيسيره . وحسن تدبيره فتحركت همته . ونهضت أعضاؤه لملازمة الشكر لله بالنية والعقل والعمل واستشعار الحضور .

قال الحبيب عبد الله الحداد رضى الله عنه أصل الشكر معرفة القلب بان

النعم من الله وحده لم يصل إليه منها شيء بحوله وقوته بل بفضل الله ورحمته ، وغاية الشكر أن تطيع الله بكل نعمة أنعم بها عليك فإن لم تطعه بها فقد تركت الشكر عليها ، وإن عصيته فقد وقعت فى الكفران وعنده تتبدل النعم بالنقم ، ومن الشكر كثرة الثناء على الله والفرح بالنعم من حيث إنها وسيلة إلى الله ينال بها التقرب من الله أو من حيث إنها دالة على عناية الله بعبده انتهى .

فإذا استمر على ذلك زاده الله معرفة بحقيقة نفسه فرأى أنه عبد رقٌ محض لله هو وما اتصل به من جسد وحواس وعقل وأهل ومال بل والسماء والأرض وما فيهما رؤية علمية ذوقية . وبصير حاله فيما لو صلى صلاة مثلا يرى أنه يعمل بأمر الله ومعونته ذلك كله ، ويحضر فى قلبه حضورا يفوق المعتاد عند من لم يحصل مثل ذوقه : أن الماء الذى يتوضأ به ملك لله ، والأرض التى يصلى عليها ملك لله . وهو ومالابسه ملك لله فلا شيء له ولا منه وإنما كل شيء يتعلق به ويعمله ملك لله ، فيستولى هذا الذكر ستيلاء ذوقيا على قلبه فيعلم أنه لايقوم بشيء من الشكر أبدا فضلا عن توفيته لأنه وجميع آلات العمل ملك لله . فالكل نعم عليه منه عز وجل . فأين موضع توفية الشكر والشكر إنما يكون بما يملكه العبد . وهو لايملك شيئا . فيرى افتقاره إلى الله الفقر الحقيقى رؤية تحقق وشعور وذوق لايغيب عنه . فيشعر فى كل طرفة عين بشدة حاجته واضطراره إلى مولاه . قائما فى الخدمة ممتثلا أمر سيده ومولاه . لاجئا إليه . منطرحا على أعتابه . لايرى له سببا ولا عملا ولا ملجأ إلا ذلك ، سقطت عنه رؤية أعماله من أول وهلة . وفنيت حظوظه ومراداته جملة وكلما ازداد تحققا بالفقر إلى الله ازداد تعظيما لله ومعرفة بجلاله ويرى حينئذ أنه لو شكر عبد ربه بجميع شكر العالمين لم يقم بما ينبغى لجلاله فلا يعبده أحد حق عبادته . ولا يبلغ

أحد كُنْهَ شكره . ولا يحصى أحد ثناء عليه كما قال الحبيب عبد الله الحداد في مناجاته : وقد علمتَ حين أعجزتني عن إحصاء ما لَكَ عليَّ من النعم ، أن عجزى عن القيام بشكرها أبلغ وأتم . ومتى بلغ العبد هذا المقام خلصت أعماله عن الشوائب . وتحقق بالعبوديه الخالصة واعترف بالعجز والتقصير . ولازمه الاضطرار إلى الله في كل نفس ولاذ بالتوبة والاستغفار من التقصير في كل لحظة .

قال الحبيب عبد الله الحداد رضي الله عنه : بحق أقول لا يستطيع أحد أن يتقرب إلى الله تعالى بشيء أفضل من التحقق بأوصاف العبودية من الفقر والذلة وإظهار المسكنة والتواضع والانخفاض إلى غير ذلك من أوصاف العبد انتهى .

والمراد بالفقر شعور القلب بافتقاره إلى الله في كل أحيانه . فإذا تأملت ما أشرنا إليه علمت أن هذا مقام عظيم . رفيع القدر بعيد الغاية لا يدرك بالتمنى ولا ينال بالهوينا ولا يحصل عليه العبد بمجرد خواطر تجرى على قلبه ولا بمُنى يتمناها . فلا بد مع معونة الله من رياضة قلبية ومراقبة للنفس وحفظ للخواطر وقمع للأهواء ونفي للحظوظ، والمقامُ كما قال الإمام القشيرى فى تعريفه : ما يتحقق العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع تصرف . ويتحقق به بضرب تطلُّب ومقاساة تكلُّف أى فلا يأتى عفوا صفوا غالبا فجاهِدْ تشاهِدْ . هذا ، وأما سبيل الاجتباء والاختصاص فله مجال آخر . وإنما نتكلم في شأن السير والسلوك . يجتبي إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب .

فلِعُلُوِّ ما ذكرناه من الأحوال والمقامات قلَّ من يصل من السالكين إلى ذلك فى أول خطوة فلهذا جمع السادة العلويون بين طريقة الرياضة الظاهرة وطريقة الرياضة الباطنة من غير غلوٍّ ولا ابتداع ليستعينوا بإحداهما على إدراك الثانية وإحكامها فيكون ذلك أنجع وأسرع .

وقد ذكر الشيخ العلامة العارف بالله أحمد بن المبارك جوابا عن شيخه القطب الربانى السيد الشريف عبد العزيز الدباغ نافعا فى بيان الفرق بين هاتين الطريقتين وإمكان الجمع بينهما فنورده اغتناما لما فيه من الفوائد . قال رحمه الله تعالى : وسأله الفقيه المذكور أيضا عن طريق الشكر وطريق المجاهدة أيهما أولى بما نصه .

(ومنها) سيدى رضى الله عنكم وأرضاكم ما الفرق بين طريقة الولى العارف الشاذلى وأتباعه . وطريقة الغزالى رضى الله عنه وأتباعه حتى إن الأولى مدارها كلها على الشكر والفرح بالنعم من غير مشقة ولا كلفة . والأخرى مدارها على الرياضة والتعب والمشقة والسهر والجوع وغيرها . فهل هما ياسيدى متوافقان على الرياضة وإنما يأمر الشاذلى بالشكر بعد القرب للوصول أو عنده أو هو أمر بالشكر والفرح بالله من أول وهلة وحين البداية . وهل الطريقتان يمكن سلوكهما لرجل واحد أو لايمكن أن ينتفع بإحداها إلا بالإعراض عن الأخرى جوابا شافيا .

(فأجاب) رضى الله عنه بأن طريقة الشكر هى الأصلية وهى التى كانت عليها قلوب الأنبياء والأصفياء من الصحابة وغيرهم وَهى عبادته تعالى على إخلاص العبودية والبراءة من جميع الحظوظ مع الاعتراف بالعجز والتقصير وعدم توفية الربوبية حقها ، وسكون ذلك فى القلب على ممرّ الساعات والأزمان . فلما علم تبارك وتعالى الصدق فى ذلك أثابهم بما يقتضيه كرمه من الفتح فى معرفته ونيل أسرار الإيمان به عزّ وجل . فلما سمع أهل الرياضة بما حصل لهؤلاء من الفتح جعلوا ذلك هو مطلوبهم ومرغوبهم فجعلوا يطلبونه بالصيام والقيام والسهر ودوام الخلوة حتى حصلوا على ماحصلوا . فالهجرة فى طريقة الشكر كانت من أول الأمر إلى الله وإلى رسوله لا إلى

الفتح ونيل المكشوفات . والهجرة فى طريقة الرياضة كانت للفتح ونيل المراتب . والسير فى الأولى سير القلوب . وفى الثانية سير الأبدان ، والفتح فى الأولى هجومى لم يحصل للعبد تشوّف إليه فبينما العبد فى مقام طلب التوبة والاستغفار من الذنوب إذ جاءه الفتح المبين . والطريقتان على صواب لكن طريقة الشكر أصوب وأخلص . والطريقتان متفقتان على الرياضة . لكنها فى الأولى رياضة القلوب بتعلقها بالحق سبحانه وتعالى وإلزامها العكوف على بابه واللجاء إلى الله فى الحركات والسكنات والتباعد عن الغفلة المتخللة بين أوقات الحضور . وبالجملة فالرياضة فيها . تعليق القلب بالله عز وجل والدوام على ذلك وإن كان الظاهر غير متلبس بكثير عبادة . ولذا كان صاحبها يصوم ويفطر ويقوم وينام ويقارب النساء ويأتى بسائر وظائف الشرع التى تضاد رياضة الأبدان . (وقال مرة أخرى) بعد قوله والهجرة فى طريقة الرياضة كانت للفتح ونيل المراتب : ثم بعد الفتح منهم من يبقى على نيته الأولى فينقطع قلبه مع الأمور التى يشاهدها فى العوالم ويفرح بما يرى من الكشف والمشى على الماء وطى الخطوة ويرى أن ذلك هو الغاية . وهذا من الذين خلت قلوبهم من الله عزّ وجل فى بداية الأمر ونهايته . فهو من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا : ومنهم من تتبدل نيته بعد الفتح ويرحمه الله تعالى ويأخذ بيده فيتعلق قلبه بالحق سبحانه وتعالى ويعرض عن غيره : وهذه الحالة التى حصلت لهذا بعد الفتح هى كانت البداية فى طريق الشكر . فيا بعد ما بين الطريقين وتباين ما بين المطلبين ، وبالجملة فالسير فى الأولى سير القلوب . وفى الثانية سير الابدان . والنية فى لأولى خالصة وفى الثانية مشوبة : والفتح فى الأولى هجومى لا تشوّف من العبد إليه فكان ربانيا . وفى الثانية نيلَ بحيلة وسبب فانقسم إلى الوجهين السابقين : والفتح فى الأولى لا يناله إلا المؤمن العارف الحبيب القريب بخلاف الفتح فى الثانية فإنك قد سمعت أن للرهبان

وأحبار اليهود رياضيات توصلوا بها إلى شيء من الاستدراجات قال رضى الله عنه : ونحن فى هذا الكلام نتكلم على الرياضة مطلقا كانت من المحق أو من المبطل . (ولسنا) نتكلم على رياضة أبى حامد الغزالى رضى الله عنه بالخصوص فإنه إمام حق وولى صدق .

(وقولكم) وهل يمكن سلوكهما لرجل واحد . (جوابه) أنه يمكن ذلا تنا فى بينهما فيمكن من الشخص أن يعلق قلبه بالله عز وجل فى سائر حركاته وسكناته ويقيم ظاهره فى مجاهدات الرياضات والله تعالى أعلم اه .

فبما ورد فى هذا الجواب تعلم أن طريقة الشكر هى طريقة الأنبياء والاصفياء وأن طريقة المجاهدة التى شرحها الإمام الغزالى طريقة حق أيضا . ونزيد ذلك بيانا بأن طريقة الشكر أصعب على النفوس الغافلة من طريق المجاهدة والرياضة وأن ما أسسه السادة العلويون من الإستمساك بالطريقين . بكلتا اليدين هو الأمر الذى لا مندوحة عنه لمن أراد النجاح والفلاح فى السير والسلوك . وقد شرح ذلك القطب العارف بالله عبد العزيز الدباغ نفسه فى جواب له نقله تلميذه العلامة العارف بالله أحمد بن المبارك الفاسى فقال : (سأله رضى الله عنه) بعض الفقهاء عما قيل إن التربية انقطعت فهل ذلك صحيح أم لا ومن نص السؤال قوله : ما نقل عن الشيخ زروق رضى الله عنه انقطعت التربية بالاصطلاح ولم يبق إلا التربية بالهمة والحال فعليكم بالكتاب والسنه من غير زيادة ولا نقصان فهل ذلك خاص بزمانه أو هى منقطعة إلى نزول سيدنا عيسى عليه السلام . إلى آخر السؤال . (فأجاب) رضى الله عنه بأن المقصود من التربية هو تصفية الذات وتطهيرها من رعوناتها حتى تطيق حمل السر وليس ذلك إلا بإزالة الظلام منها وقطع علائق الباطل عن وجهتها . ثم قطع الباطل عنها تارة يكون صفائها فى أصل خلقتها بأن يطهرها الله بلا واسطة . وهذه حالة القرون الثلاثة

الفاضلة الذين هم خير القرون . فقد كان الناس فى تلك القرون متعلقين بالحق باحثين عليه إذا ناموا ناموا عليه ، وإذا أستيقظوا أستيقظوا عليه . وإذا تحركوا تحركوا فيه . حتى إن من فتح الله بصيرته ونظر إلى بواطنهم وجد عقولهم إلا النادر متعلقة بالله ورسوله . باحثة عن الوصول إلى مرضاتهما . فلهذا كثر فيهم الخير وسطع فى ذواتهم نور الحق وظهر فيهم من العلم وبلوغ درجة الاجتهاد ما لا يكيّف ولا يطاق فكانت التربية فى هذه القرون غير محتاج إليها وإنما يلقى الشيخ مريده ، وصاحب سره ، ووارث نوره . فيكلمه فى أذنه فيقع الفتح للمريد بمجرد ذلك لطهارة الذوات وصفاء العقول وتشوفها إلى نهج الرشاد . وتارة يكون بتسبب من الشيخ فيه اعنى قطع الظلام من الذوات وذلك فيما بعد القرون الفاضلة حيث فسدت النيات وكسدت الطويات . وصارت العقول متعلقة بالدنيا ، باحثة عن الوصول إلى نيل الشهوات . واستيفاء اللذات فصار الشيخ صاحب البصيرة يلقى مريده ووارثة فيعرفه وينظر إليه فيجد عقله متعلقا بالباطل ونيل الشهوات ويجد ذاته تتبع العقل فتلهو مع اللاهين . وتسهو مع الساهين وتميل مع المبطلين . وتتحرك الجوارح فى ذلك حركة غير محمودة من جيث إن العقل الذى هو مالكها مربوط بالباطل لا بالحق فإذا وجده على هذه الحالة أمره بالخلوة وبالذكر وبتقليل الاكل فبالخلوة ينقطع عن المبطلين الذين هم فى عداد الموتى . وبالذكر يزول كلام الباطل واللهو واللغو الذى كان فى لسانه وبتقليل الأكل يقل البخار الذى فى الدم فتقل الشهوة فيرجع العقل إلى التعلق بالله ورسوله . فإذا بلغ المريد إلى هذه الطهارة والصفاء اطاقت ذاته حمل السر فهذا هو غرض الشيوخ من التربية وإدخال الخلوة . ثم بقى الأمر على هذا مدة إلى أن اختلط الحق بالباطل والنور بالظلام فصار أهل الباطل يربُّون من يأتيهم بادخال الخلوة وتلقين الأسماء على نية فاسدة وغرض مخالف للحق . وقد يضيفون إلى ذلك عزائم واستخدامات تفضى بهم إلى مكر من الله واستدراجات وكثر

هذا الأمر فى الأعصار التى أدركها الشيخ زروق رضى الله عنه وأدركها شيوخه فظهر لهم من النصيحة لله ولرسوله أن يشيروا على الناس بالرجوع عن هذه التربية التى كثر فيها المبطلون . وأن يقفوا بالناس فى ساحة الأمن التى لا خوف فيها ولا حزن وهى اتباع السنة والكتاب اللذين لا يضل من اهتدى بهما فكلامهم رضى الله عنهم خرج مخرج النصيحة والاحتياط ولم يريدوا رضى الله عنهم الانقطاع رأساً للتربية الحقيقية وحاشاهم من ذلك فإن نور النبى صلى الله عليه وآله وسلم باق . وخيره شامل ، وبركته عامة إلى يوم القيامة اهـ .

وبما نقلنا وشرحنا قام الدليل على صحة بناء من تقدم ذكره على طريقة السادة العلوية وأنها التى يشهد لصحتها الكتاب والسنة الكريمة والآثار المرضية وسيرة السلف الكرام لأنهم تلقوا ذلك خلفاً عن سلف وأباً عن جد إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فكان ذلك دليلا ثبتت قواعده واستقامت شواهده والله ولى التوفيق .

وتعلم من ذلك أيضاً أن طريقتهم لم تكن شيئاً استحدثوه بعد ظهور الطريقة الغزالية والطريقة الشاذلية ولكن كان ما توارثوه موافقاً لهما فاعتمدوهما لما كان فيهما من الغناء والكفاية عن التأليف والجمع . ومعوّلهم كان على الاقتداء بالمشايخ والملازمة لهم والتربية بالعمل . والأخذ بالمحاكاة والمشافهة . وما يسرى من الصفات والاسرار بالمخالطة للأشياخ مع المحبة والتعظيم . وقول بعض المؤرخين كالجندى والغسانى الرسولى والشرجى إنهم كانوا يعرفون قبل ذلك بالفقه أى قبل أخذ الفقيه المقدم خرقة التصوف عن أبى مدين . إنما يدل على أنهم لم يكونوا يعرفون بالتصوف والطريقة الاصطلاحيين ولما ذكر قال الحبيب عبد الله الحداد إن المراد بالأخذ فى سند الأباء التأدب والتربية فحسب .

بيان أن الطريقة العلوية تنقسم
إلى خاصة وعامة

اعلم أن لهم طريقة خاصة ونعني بها ما اشتملت على عزائم الصوفية وأنواع الرياضة والأربعينيات على ما هو مشروح في أصول كتب التصوف كالقوت للإمام أبي طالب المكي وعوارف المعارف للسهروردي والإحياء للامام الغزالي ومنهاج العابدين وميزان العمل والأربعين له وغير ذلك مما اشتمل على التصوف الواضح المقيد بالكتاب والسنة . ولا سيما كتاب الإحياء . فقد اعتنوا به قراءة ومطالعة ومدارسة وحثاً عليه وسلوكا به على غير وجه التشدد بحيث لا يبعدون فيه عن السنن المعروف وكانوا يعدون مطالعته من جملة أعمال الرياضة بل قد يغني عنها لمن تحقق به وكان الشيخ شعيب أبو مدين لا يكاد يفارق الأحياء وإليه ترجع الطريقة العلوية على المنهج المعهود في طرق التصوف وإن كان لهم طريق أخرى عن أبائهم كما علمت ذلك مما سبق .

وكان الامام القطب عبدالله بن أبي بكر العيدروس رضي الله عنه كثير الثناء على إحياء علوم الدين والتنويه به والحث على مطالعته واقتنائه وقد أفردها بتأليف خاص العلامة المؤرخ الصوفي السيد الشريف عبد القادر بن شيخ ابن عبد الله بن شيخ بن القطب عبد الله العيدروس وقد طبع مؤلفه المذكور بهامش شرح الاحياء .

ولغيره من أسلافنا نحو ذلك ولا سيما الامام محيي الطريقة ورافع أعلامها الحبيب عبد الله بن علوي الحداد فمن ذلك قوله رضي الله عنه : من طالع الكتب الغزالية كفته عن العمل . ومن اشتغل بمطالعتها وقراءتها تمَّ أمره وظفره . ومن طالع إحياء علوم الدين رزق الخوف من الله تعالى . ومن رزق الخوف لم يعرض له ما يعرض للسالكين في سلوكهم . ومن اشتغل بالاحياء قراءة

ومطالعة فقد تحقق بالعلم . لأن قراءته تكفى عن المعلِّم والشيخ . ولا أنفع لأهل هذا الزمان من قراءة الاحياء فهو حياة وسعادة فى الدنيا والآخرة . (قلت) والمراد بقوله : كفقته عن العمل هو ما أشرت إليه قبل ذلك والله أعلم .

وقال رضى الله عنه : الإحياء معجزة وقد تتبعوا أحاديثه فوجدوا بعضها فى الصحاح وبعضها لم يوجد فيها وقال رضى الله عنه : من استشارنى فى قراءة العلم أشير عليه بقراءة الكتب الغزالية فهى هداية لمن قرأها . يزكو عمله ولا يعرض له الرياء بل يكون من المخلصين .

وقال رضى الله عنه فى الإحياء جميع العلوم مايحتاج من قرأه إلى أن يتعلم على غيره . لأن الشيخ الغزالى لم يصنفه إلا وقد أعطى الكمال فى جميع العلوم . ومن قرأ بداية الهداية رزق الهداية، ومن قرأ الاحياء خرج عن دائرة الشقاء . ومن أحب الغزالى أحبه الله . وحب الغزالى وحب كتبه وسيلة إلى الله .

وقال نفع الله به . الإمام الغزالى نعمة من الله على هذه الأمة دقَّق العلوم وغزلها ، وكل عالم ينقص عن مرتبته ، وإنما تشفى العليل كتب الغزالى لأنها دواء من أمراض القلوب ، من أراد أن يصحح قلبه فليداوم على قراءتها . ومحبة الغزالى موهبة لا تُكَيَّف . وسوف ترى ذلك فى دار الآخرة ولا يحب كتب الغزالى إلا نيِّر القلب منصف من نفسه . لأنها حق صرف ليس فيها تلبيس . جزى الله الإمام الغزالى عنا خيراً . لقد أرشدنا بكتبه وبركات سره . وما اجتمع أهل الحق على كال أحد كاجتماعهم على الإمام الغزالى . ولا يتم لسالك سلوكه حتى يقرأ كتب الغزالى فإنها تعينه على السلوك وتخرجه من شر نفسه وغلبة هواه . ويعرف بها كيد الشيطان لعنه الله .

وقال رضى الله عنه : قد انفردت الكتب الغزالية من بين كتب المحققين الصوفية بالجمع والتكرير وحصول التأثير فى الزمن القصير . انتهى .

ولهم فى هذا المعنى كلام كثير . فهم يأخذون فى العقيدة بما ذكره الإمام الغزالى فى كتاب قواعد العقائد مع التزام مذهب السلف من الإيمان والتفويض والتسليم وترك التأويل مع كمال التنزيه وإرجاع العلم إلى الله . وكانوا يعتنون بمذهب الأشعرى على مافى رسالته الجامعة المسماة بالإبانة التى مال فيها إلى مذهب السلف كما أشار إلى ذلك القطب الإمام الحداد فى كلامه وليس عندى فانقله بلفظه ، وخلاصته أنه قال : إنما أخذنا بمذهب الأشعرى لأنه قال آمنا بالله وبآيات الله وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الله على مراد الله . فالأشعرى فى الابانة وهى آخر مؤلفاته قال فيها باثبات الصفات الآلهية السمعية من غير تكييف ولا تشبيه جريا على منوال السلف كما قال القطب الحداد .

وكن فى أحاديث الصفات وآيها
على مذهب الأسلاف حيث السلامة

وهى التى مال إليها الباقلانى وإمام الحرمين وغيرهما من أئمة أصحابه المتقدمين فى أواخر أقوالهم ، ويكرهون التعلق بعلم الكلام ولا يميلون إلى ماشابه أم البراهين .

وكان الابتداء بحفظ العقيدة للغزالى معروفا عندهم كما هو مشروح فى مناقبهم . وأما الاحياء فقد كان من يحفظه عن ظهر قلبه كالعلامة السيد الشريف محمد بن علوى بن على بن أحمد ومنهم من كرر مطالعته وقرىء عليه حتى كاد يحفظه كالقطب العيدروس وقرأه عليه أخوه الإمام الصوفى على بن أبى بكر خمسا وعشرين مرة وقرأه ابنه عبد الرحمن بن على عليه أربعين مرة . وقرىء عليه أربعين مرة فاجتمع له أعنى السيد الشريف عبد الرحمن من قراءة الإحياء وسماعه ثمانين مرة وقرأه الحبيب الجامع للكمالات الحسن بن عبد الله

الجداد أربعين مرة وقرأه عليه ابنه أحمد بن الحسن عشر مرات وهلم جرا .

بل واعتنوا بكتب الإمام الغزالى الفقهية ، وكان بها أشتغالهم فى القديم كالفقيه الصوفى أحمد بن عبد الرحمن بن علوى فكان يحفظ الوجيز والوسيط وكان مقصدهم الأعلى ومرماهم الأقصى من التزام السلوك على ما فى إحياء علوم الدين أن يقوموا بأوامر الشرع على الوجه الأتم فيأخذون منه بعد معرفة العلم النافع والعلم الضار ثمرة العلم وهو العمل به ويعرفون آفاته وآداب العلم والمعلم والمتعلم وتصحيح العقيدة وخفايا آداب العبادة وأسرارها ودقائق سننها ومعانيها . وأسرار المعاملات الجارية بين الخلق ودقائق سننها وخفايا الورع فى مجاريها وتزكية النفس من الأخلاق المذمومة ومعرفة حقائقها وأسبابها وآفاتها وعلاماتها وطريق معالجتها وتحلية النفس بالأخلاق المحمودة ومعرفه حقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاماتها وفضائلها وطرق الحصول عليها .

وقد احترزوا بذلك عن كتب التصوف المشتملة على الحقائق[١] المجردة المخالفة لظاهر الشرع وباطنه أو على البدع أو العقائد الفلسفية والعقائد المجوسية الهندية المبنية على وحدة الوجود أى جعل الخالق عين المخلوق . فإن ذلك عين فلسفة أفلاطون اليونانى الكفرية وعين ديانة المجوس الهندية على اختلاف مذاهبها كالبرهمية ودسنتا كرا . وقد أطلعنا على كتبهم فرأيناها ملفقة من ديانات عديدة من الفلسفة الكفرية والمجوسية والرزاد شتيه ونحل غلاة الامامية وضلالاتهم وقد كسوها بقطع من الآيات القرآنية ومن الأحاديث الضعيفة والموضوعة وكلام المشائخ مع تحريف وتخييل فتلك هى التى أسست عليها الطرائق الشيطانية الكفرية التى عناها إمام الحاضر والباد . قطب الدعوة

---

(١) كيف تسمى حقائق وهى مخالفة لظاهر الشرع وباطنه والشرع هو الحق ومخالفه ليس بحق والحق هو الثابت فى هذه التسمية تجوز كبير اه مصحح .

والارشاد الحبيب عبد الله بن علوى الحداد العلوى الحسينى فى جوابه لبعض السادة حين سأله و استشاره فى أخذ الطريقة عن بعض المشائخ .

(فأجابه) رضى الله عنه بقوله : وأما الأخذ عن الشيخ الذى أشرت إليه فلا بأس به إن كانت طريقته لا تخالف الطريقة التى نحن عليها والتى نأخذها عن أصحابنا بالحال والمقال . فإن الطرق إلى الله كثيرة . وبعضها موافق للبعض . وبعضها قد تخالف من حيث الصورة لا من حيث الحقيقة . ولكن السالك فى أول سلوكه إنما يسلك على الصور أولا حتى يقطعها ويصير فيها إلى الحقائق وذلك بعد أشياء كثيرة يمارسها وينازلها . وأما طريقتنا فلا تحتاج فيها من حيث الاجمال إلى شرح وإنما هى الكتاب والسنة والاقتداء بالسلف الصالح لا غير . ولهذه الجملة تفصيل يطول . ولو وجدنا مَن صدَق فى طلبه ورغبته وجِدِّه وتشميره . كما ينبغى من أهل هذا الزمان لكنا شرحنا لهم على التفصيل . وبيان مايخص منها وما يعم وما هو الأولى بالبعض . وما هو الأولى بغيره والحاصل أن طريق أهل هندستان موافقة وقريبة من طريقتنا إلا أنهم يغلب عليهم التحفظ والتمسك بالكتاب والسنة والاحتياط فى الدين . وثم طرائق توجد بجهات أرض الدكن وبجهات أخرى من الهند الأقصى كلها أو أكثرها طرائق شيطانية ممقوتة مؤدية إلى سخط الله وسخط رسوله . نسأل الله لنا ولكم العافية من الفتن انتهى .

والمراد بقوله إلا أنهم يغلب عليهم التحفظ إلى آخره ما يلازم ذلك من التشدد المؤدى إلى العسر والحرج فتفهم .

ومراده بالهند الأقصى جهة آشى هكذا نقله عنه تلميذه العلامة الصوفى الناسك الشيخ سعيد بن الشيخ العلامة الفقيه الصوفى عبد الله بن عثمان العمودى فيما نقله من تقرير الحبيب القطب عبد الله الحداد بهامش رسالة المعاونة وقد انتشرت

تلك الطرائق الكفرية فى بلاد الملايو وجاوه ولعل الإشارة منه بقوله : فى جهة آشى إلى الجميع عافانا الله بمنه وكرمه آمين .

مجاهدات الأشياخ من السادة العلويين

اعلم أنه قد وقع لبعض كبار أشياخ الطريقة العلوية من المجاهدات نحو مما وقع لرجال الرسالة القشيرية ورجال حلية الأولياء لأبى نعيم رضى الله عنهم أجمعين وذلك مشروح فيما الف فى مناقبهم الخاصة وتراجمهم فمما رواه الشيخ على بن سالم تلميذ الشيخ عبد الله باعلوى أيام إقامته بمكة معه فى شهر رمضان قال إذا فرغنا من صلاة التراويح أحرم كل منا بركعتين يقرأ فيهما القرآن كله. ولا نتعشى إلا بعد فراغنا منهما بعد حل الصيام بجرعة ماء أو تمرة . وكنت أدرس معه القرآن فما يذهب كل منا حتى يقرأ نصف القرآن انتهى .

وكان الشيخ محمد بن علوى بن أحمد بن الأستاذ الأعظم يطالع قراءته بالليل فيستغرق نصفه أو جله وربما استغرق الليل كله ، وحكى أنه احترق عليه بالسراج ثلاثة عشرة عمامة عند مطالعته لشدة استغراقه ، وحكى عن الشيخ محمد مولى الدويلة أنه مكث نحو عشرين سنة يصلى الصبح بوضوء العشاء . وصام أربعين يوما متتابعة فى أيام الصيف وكان ابنه الشيخ عبدالرحمن السقاف يتعبد فى شعب النعير ثلث الليل الأخير . وكان يقرأ كل ليلة ختمتين وكل يوم ختمتين ثم صار يقرأ أربع ختمات . بالليل وأربعا بالنهار ختمتان من بعد صلاة الصبح إلى الظهر وختمة فيما بين الظهر والعصر يقرؤها فى ركعتين وختمة بعد العصر . ومكث نحو ثلاث وثلاثين سنة ما نام فيها ليلا ولا نهارا[1] . ويقول كيف ينام من إذا نام على شقه الإيمن رأى الجنة أو على شقه الايسر رأى النار . وتلك الرؤية تكون

---

(١) لعل المراد نفى الاستغراق فى النوم لانفى أصله فى نحو ثلث قرن اه مصححه .

بالبصيرة وقد تنعكس منها إلى البصر فتمثل له بقوة الإيمان واليقين وفى حديث الكسوف فى صحيح البخارى ما يقرب ذلك إلى الفهم .

وقد يمكث فى شعب نبى الله هود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام شهرا لا يأكل فيه إلا نحو كف من دقيق .

وكان ابنه الشيخ عمر المحضار يصبر عن الطعام الليالى والأيام : ومكث خمس سنين لا يأكل مما يعتاده الآدميون ومكث ثلاثين سنة لا يأكل التمر ويقول إنه أحب الشهوات إلى فلذلك منعته نفسى. ومكث فى ريدة المشقاص شهرا لا يذوق شيئا إلا الماء . ومكث فى سفره إلى الحج أربعين يوما ماذاق فيها طعاما ولا شرابا ولم تنقص قوته ولم يضعف عن المشى . وجاور بشعب نبى الله هود صلوات الله على نبينا وعليه شهرا لم يأكل فيه سوى رطل سمك. وكان غالب قوته اللبن وله غير هذا من المجاهدات .

وكان ابن أخيه الشيخ عبد الله العيدروس أقام مدة لا يأكل إلا ثمر العشرق ومكث سبع سنين يصوم ويفطر على سبع تمرات لا يأكل غيرها . ومضت عليه سنة لم يأكل فيها إلا خمسة أمداد بالمد الشرعى . ومكث شهرا لم يأكل الامُدا واحدا وقال رضى الله عنه كنت فى بدايتى أطالع كتب الصوفية واختبر نفسى بمجاهداتهم المذكورة فى مؤلفاتهم . ومكث ثلاث سنين يرقد على المزابل رياضة لنفسه . ثم هجر النوم أكثر من عشرين سنة لم يرقد فيها لا ليلا ولا نهارا. وكان يأخذ الكتاب الذى هو قريب حجم المنهاج فيطالع فيه من أول الليل حتى يأتى على آخره من ليلته تلك . وحكى عنه رضى الله عنه . أنه قال قد آخُذُ شيئا من الكتب مثل نشر المحاسن وكتاب أطراف العجائب وقت الظهر وأطالعه وأتقن مافيه فلا يأتى وقت العصر إلا وقد أتيت على آخره . وكنت أود أن أفنى مهجتى فى الاجتهاد وأهوى ذلك وأحبه حبا ضروريا انتهى .

وأما أخوه الشيخ على بن أبى بكر فكان لا ينام من الليل إلا السدس تاليا للكتاب العزيز متخلقا به وسلوكه على ما فى كتاب تحفة المتعبد .

وكان الشيخ القطب أبو بكر بن عبد الله العيدروس فيما حكى من مجاهداته أنه هجر النوم بالليل أكثر من عشرين سنة . وحكى بعض الثقات ممن خدمه أكثر من ثلاثين سنة قال ما رأيته استغرق فى نومه ثلاث ساعات .

وكان ابن عمه الشيخ عبد الرحمن بن على يغتسل لكل فرض وكان كثير التلاوة والأوراد والسهر وكان يقول ما أحب الحياة إلا لمطالعة الكتب ولأزداد من الخير ولأُشرف على العلوم النافعة . وكان من مقروآته على والده الاحياء قرأه عليه أربعين مرة . وكان يخرج وهو فى الصغر مع ابن عمه أبى بكر بن عبدالله العيدروس إلى شعب النعير بعد مضى نصف الليل للتهجد فينفرد كل واحد منهما بقراءة عشرة اجزاء فى الصلاة ثم يرجعان إلى منزلهما قبل الفجر .

وكان الشيخ أبو بكر بن سالم مكث مدة يصوم ولا يفطر إلا على البسر الغاسى . ومكث أربعين سنة يصلى الصبح بوضوء العشاء .وحكى تلميذه الشيخ حسن باشعيب أنه قد يطوى الأسبوع والأسبوعين . وقد تمضى السنة لا يغمض فيها العين وحكى أنه طوى فى (يبحر) تسعين يوما أى ثلاثة أشهر وأنه كان يصلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة ويسير فى كل ليلة فيزور مقبرة تريم ثم يعود فيحضر صلاة الصبح بمسجد باعيسى بالاسك قال وسمعت جدى الشيخ أحمد بن حسن باشعيب أنه قرأ المنهاج ثلاث مرات وفى ذكرى عنه أو عن غيره قرأ الاحياء أو قال طالعه أربعين مرة انتهى .

وكان الشيخ عبد الله بن علوى الحداد يصلى من الصغر مائتى ركعة فى مسجد بنى علوى وكان إذا رجع من المعلامة أى المكتب ضحى يأتى بعض المساجد مع رفيقه فى التعليم الشيخ أحمد بن عبد الله بلفقيه فيصلى كل منهما مائة ركعة

وكان يكثر من الذكر ولاسيما بلا إله إلا الله حتى فى اثناء مكالمته لغيره وفى اثنـاء الدرس .

وكان الشيخ أحمد بن زين الحبشى حين الصغر وأيام الصباله تلهف وتطلع لطلب الزيادة من أفعال الخير والبر ولاسيما طلب العلم فـكان يرحل إلى البلدان القريبة من بلده الغرفة إلى شبام وتريس وسيوون ماشيا والى تريم لطلب العلم ولايهتبل بأمر القوت فيأ كل ما وجد ويجاهد نفسه فى التقلل حتى صار يكتفى بثلاث لقم ولايقدر على أ كثر منها وقد يشتهى بعض الطيبات فلا يقدر على اكله لضيق امعائه عن حمله .

وكان لشيخ مشائخنا العارف بالله الحبيب الحسن بن صالح البحر مثل ذلك كما سمعه من الثقات شيخنا وشيخ مشائخنا العارف بالله الحبيب عيدروس بن عمر الحبشى وعرضه على شيخه الحبيب الحسن فاقرة : فمنها تقايل القوت والتزام الرياضة حتى بلغ إلى أن نفسه لاتقبل القوت[1] وإذا أكل فى بعض الأحيان جبرا لوالدته لايلبث فى بطنه بل يسرع إلى الخارج فيقذفه ويمكث المدة الطويلة حين طلبه للعلم بتريم على الاسودين التمر والماء .

قال شيخنا وشيخ مشائخنا الحبيب عيدروس إن الحبيب الحسن بن صالح كان يرتحل إلى تريم لطلب العلم هو والمعلم عبد الله بن سالم بن سمير ويقيمان المدة الطويلة هناك ولم يكن لهما طعام إلا اليسير من التمر غداء وعشاء مجاهدة للنفس واقتداء منهما به صلوات الله وسلامه عليه إذ كان عليه السلام يمضى عليه الشهر والشهران وليس له طعام إلا التمر والماء . ثم قال سيدنا الحبيب الحسن للمعلم عبد الله عسى أن تجعل طعامنا التنخ بدلا عن التمر فإن نور التنخ أتم وأ كمل من نور التمر فقال له المعلم : يكفينا نور التمر وما بقى فينا اتساع لنور التنخ اه رواه عنه أحد كبار تلاميذ الحبيب عبيد الله بن محسن السقاف فيما جمعه من

(١) أى لاتميل إليه ولا تشتهيه بل قد تستكرهه وتنفر منه وتمجه اه مصححه .

كلامه (والمراد بالنّخ تفل السمسم الجاف الخشن بعد عصره وإخراج دهنه) .

وكان أيام إقامته بشبام يفطر فى رمضان على خبز الذرة الشّحْرية وهى غالبا ليست نقية ولا طيبة الطعم مع القهوة . وقد يصوم الأيام ولا يذوق القهوة حتى عند الافطار . وكان كثيرا ما يقرأ القرآن فى ركعتين . وقرأ فى بعض الليالى سورة الاخلاص تسعين ألف مرة ويقع له كثيرا أن يقرأ سورة يٓس أربعين مرة فى جلسة واحدة . ودام على ذكر كلمة التوحيد فظهرت له كشوفات عظيمة . وما كان يسير أيام إقامته بتريم إلا مقنعا رأسه ووقع له فترة فى ابتداء أمره عن الذكر بينما هو فى تريم فصعد إلى طاقة المحل الذى هو فيه ثلاثة ادياك فلقنه أحدهم الذكر بالنطق الصريح : والتعبير الفصيح . ومجاهدته وأحواله كثيرة .

وكان لشيخ مشائخنا إمام الأفراد الأكبر عبد الله بن حسين بن طاهر المجاهدات العظيمة فى حفظ الأوقات ، واللهج بالذكر والدعوات . فكان يأتى كل يوم بخمسة وعشرين ألفا من (لا إله إلا الله) وبخمسة وعشرين ألفا من (يا الله) ومن الصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بخمسة وعشرين ألفا مع ماله من الأوراد والأذكار وكان يغتسل ويتطيب لكل فريضة . وأهدى له بعضهم ساعة وعرفه كيف يديرها ، ثم وقفت عن السير فسئل عنها قال لم أجد وقتا لإدارتها .

وكان الحبيب عمر بن زين بن سميط من أهل المجاهدات العظيمة لبث نحو سبع عشرة سنة لم يضع جنبه على الأرض .

وكان الحبيب صالح بن عبد الله العطاس له مجاهدات فى بدايته مكث ثلاثة أشهر بمكة لا طعام له إلا ماء زمزم . وكان مستغرق فى الله كائنا مع الناس بائنا عنهم .

وكان الحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس له مجاهدات وأذكار وكان ورده كل ليلة قراءة يس ألف مرة ثم اقتصر آخر عمره على مائتين وخمسين مرة كل ليلة قال شيخنا ولم نطلع على شيء من أوراده الأخرى أو كما قال .

وكان الحبيب طاهر بن عمر الحداد لا ينام من الليل إلا ثلاث ساعات وسائر وقته مستغرق بوظائف العبادات لا يخل بها .

قال شيخنا عبّادنا فى هذا الزمان طاهر بن عمر الحداد وعبد الله بن حسن البحر وعبد الرحمن بن محمد المشهور وزين بن صالح بن عقيل بن سالم قلت ولهؤلاء فى النسك والانقطاع إلى الله والاستغراق فى عبادته ما يطول فيه الشرح .

وكان جدنا الحبيب عبد الله بن طه الحداد من المتجردين للعلم والعبادة مع الزهد والتقشف ثم غلب عليه الذكر القلبى واللسانى ليلا ونهارا يقظة ومناما حتى عرف بالهدار من كثرة هديره بذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ونحوا من ذلك كان ابنه عمنا الحبيب صالح ابن عبدالله الحداد .

وأما شيخنا صاحب المناقب فقد لخصنا شيئا من حاله فى الفصل الأول وسنذكر ما تيسر مما لم يسبق ذكره .

الطريقة العلوية العامة

وأما الطريقة العلوية العامة فهى التى يسميها قطب الدعوة والإرشاد الحبيب عبد الله بن علوى الحداد بطريق أصحاب اليمين وله فى شرحها كلام فى تثبيت الفؤاد ولم يكن عندى حين كتابة هذا ، فنكتفى بما ذكر صاحب

المقامات والأحوال والعلوم والأعمال الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي وهو متضمن له . قال رضى الله عنه وقد ذكر عنده ما كان لبعض الأكابر من المجاهدات الشاقة :

هذه طريقة خاصة . والسلف يدعون الناس خصوصا أهل الزمان الأخير إلى الطريقة العامة التى تصلح للكل . وهى أوسع من الطريقة الخاصة وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يدعو العباد دعوة عامة . ودعوته صلى الله عليه وآله وسلم هى التى تسع جميع دائرة أهل الإسلام من سائر الطبقات . وطريقة الخاصة وإن كانت أفضل وأجل وأشرف . ودعا إليها صلى الله عليه وآله وسلم الخواص لكنها شديدة ، صعبة السلوك على غير الاقوياء من الأمة . ومن طلبها وتعرض لها من أهل الضعف فقد عرّض نفسه للانقطاع والاضاعة بالكلية . ويفوته سلوك الطريقين معا . أما العامة فلعدوله عنها . وأما الخاصة فلقصوره وعدم قوته وقدرته على تحصيلها . فيصير مثاله مثال الغراب الذى أراد أن يتعلم سير الحمام والقطا ويترك سيره . فلم يتفق له معرفة سير الحمام ثم عاد طالبا سيره الذى كان عليه فلم يعرفه ولم يحسنه . فصار حائرا عاجزا عن السيرين وقد قال سيدنا الحبيب عبد الله الحداد فى بعض ما نقله عنه تلميذه الحساوى :

ولا يليق بأهل هذا الزمان إلا هذه الطريقة السهلة دون الأخرى وأين الناس اليوم — إلى أن قال — منذ ابتدأنا سابقا إلى الآن ما أشهرنا أنفسنا بطريقة السابقين لا سابقا ولا لاحقا ولا سلكناها بين الناس ولا سلكنا فيها أحداً . وأين الزمان من الزمان . والناس من الناس طالبا أو مطلوبا (قات) فإذا جاءكم أحد لا يعرف طريق السابقين ولا طريق أصحاب اليمين فماذا يفعل .

(قال) : يعمل على ما نحن عليه فما يرانا نفعله يفعله كما ترى من إقامة الصلوات

وقراءة القرآن وترتيب الأذكار وطلب العلوم النافعة مع الدوام على ذلك . فهل علمت أحدا لام على ذلك من علماء الحرمين أو غيرهم أو سمعت من ينكر هذه الطريقة . قلت لا . قال : فهذه طريقة أصحاب اليمين وهى اللائقة . فينبغى لأهل الزمان طريق العموم لتعذر طريق الخصوص والافكم من واحد يظن بنفسه أنه مثل الشيخ عبد القادر وهو ما يكون شوكة فى رجله اه .

وقال الحبيب المكاشَف بالاسرار الغواص فى بحر المعارف والأنوار عمر ابن طه بن عمر البار فى إجازة منه ووصية للحبر الهمام والسيد الإمام محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن حسين بن محمد بن سيدنا عبد الله الحداد بعد وصيته بالتقوى وأوصيه بلزوم طريقة سلفنا آل أبى علوى رضى الله عنهم ونفعنى ببركاتهم لأن مدار طريقتهم على عقيدة السلف الصالح وتصحيح التقوى . والزهد فى الدنيا . ولزوم التواضع ومعانقة العبادة ومواصلة الأوراد . واستشعار الخوف . وكمال اليقين . وتحسين الأخلاق . وإصلاح النيات وتطهير القلوب والطويات ومجانبة العيوب الخفيات . والعكوف على بساط الذكر بالقلب واللسان مع الخشوع والحضور فإنه بغير ذلك قليل الجدوى المؤثرة فى القلب ، ويكون فى ذلك كله على النمط الأوسط بلا تكلف ولا تخلف ، قال الاحسائى فيما نقله عن سيدنا الحبيب عبدالله من كلامه . قلت يامولانا إذا جاءكم أحد لا يعرف طريقة السابقين ولا طريقة أصحاب اليمين فماذا يفعل قال نفع الله به يعمل على ما نحن عليه كما ترى من إقامة الصلاة وقراءة القرآن وترتيب الأوراد وطلب العلوم النافعة مع الدوام على ذلك فهل رأيت أحدا لام على ذلك من علماء الحرمين وغيرهم أو سمعت أحدا ينكر هذه الطريقة قلت لا قال فهذه طريقة أصحاب اليمين وهى اللائقة فينبغى أن يطاق لأهل الزمان طريق العموم لتعذر طريق الخصوص اه .

وللسلف فى تبيين هذه الطريقة العامة كلام كثير ونقله يطول وقد ذكره بطوله مع غيره، شمس المعارف الحبيب عيدروس بن عمر الحبشى فى عقد اليواقيت فنقل فيه عن الحبيب عبد الله الحداد والحبيب أحمد بن زين الحبشى والحبيب طاهر بن حسين وأخيه الحبيب عبد الله بن حسين والشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، وللحبيب العلامة الإمام محسن بن علوى بن سقاف السقاف كتاب (تعريف الخلف بسيرة السلف) جمع فيه كثيراً طيبا وهو مطبوع وكذلك للحبيب عبد الله بن علوى العطاس تلميذ صاحب المناقب مؤلف مطبوع اسمه : (العلم النبراس فى التنبيه على منهج الأكياس) شرح فيه الطريقة العلوية وخلاصة ذلك لزوم تقوى الله بامتثال الأوامر واجتناب النواهى وبذل الجهد فى تطهير القلب من الرياء والكبر والحسد وغيرها من الأخلاق السيئة والورع والزهد. وملازمة الصلوات فى الجماعة. وترتيب الأوراد وحفظ الأوقات وحضور مجالس العلم والذكر وتلاوة القرآن مع التدبر والاكثار من الذكر مع الحضور والبعد عن الجنود والعامة المخلطين وعن الاضداد الذين يضادون المرء فى أعماله وأخلاقه ومقصده. وترك الترفه. وإدمان المطالعة فى الكتب النافعة من كتب التفسير والحديث والتصوف والأخذ من علم الفقه بقدر الحاجة التى تصح به العبادة والمعاملة دون علم الحيل والتحريف. وهم يخصون كتاب الاحياء بعناية فى قديم أمرهم وحديثه وترك كتب التصوف المشتبهة والمتهم أهلها بالخروج عن الإسلام، أو عن العقيدة السنية أو القول باسقاط التكاليف أو بوحدة الوجود أو الممزوجة بالفلسفة . ولا بد مع ذلك من الأخذ عن الشيخ الكامل ومحبته وتعظيمه والانطواء فيه ومجانبة الفضول ومالا يعنى. وقد يأمرون بخلوة ثلاثة أيام أو خلوة أسبوع وإن تكررت وهى المعروفة بالخلوة العيدروسية لها أذكار خاصة وكل ذلك مشروح فى كتبهم ، ولاسيما رسالة المريد ورسالة المعاونة للحبيب عبد الله الحداد بل وسائر كتبه وأسرار علوم المقربين للسيد محمد بن عبد الله

العيدروس والكبريت الأحمر للقطب العيدروس ومناقبه للشيخ عمر بن عبد الرحمن الحسيني صاحب الحمراء وكذلك سائر كتب تراجمهم والله الموفق والمعين .

قال القطب عبد الله بن أبي بكر العيدروس رضي الله عنه في اختصار السلوك خلوة ثلاثة أيام وخلوة أسبوع وخلوة أربعين يوما فأما خلوة ثلاثة فهي الاثنين والخميس والجمعة . ولها وظائف دوام الذكر بالليل والنهار . والاعتزال في زاوية . وأكلة بعد العشاء وترك النظر إلى الحرام . ولا ينام حتى يقول قبل النوم على طهارة في خلوة وحده : يا كريم يارحيم ألف مرة . والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألف مرة . فقد فتح لجماعة في هذه .

وأما خلوة الأسبوع فبالصوم والعزلة والسهر والذكر إلا من ضرورة وترك ذكر الدنيا وأهلها وكذلك خلوة الشهر . وكذلك الأربعين .

وقال في وصية أخرى . وههنا نصيحة مليحة وهي قراءة مختصر عبد الله بافضل وأر بعينية مختصرة وهي الخميس والجمعة بصيام وجوع وعزلة وسهر وصمت وذكر ويفطر على نصف مُد ويكون ذكره لا إله إلا الله محمد رسول الله وترك ذكر الدنيا وأهلها اه بتصرف لفظي .

وقد أشار إليها الحبيب عبد الله الحداد وعقبها بقوله : والشيخ نفع الله به من أجلاء المحققين المطلعين من أسرار الطريقة على أشياء كثيرة خفيت على المتقدمين انتهى .

عقيدة العلويين عقيدة أهل السنة والجماعة

قال قطب الدعوة والارشاد . الحبيب عبد الله بن علوي الحداد : وعليك بتحصين معتقدك وإصلاحه وتقديمه على منهاج الفرقة الناجية . وهي المعروفة من بين سائر الفرق الإسلامية بأهل السنة والجماعة . وهم المتمسكون بما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه . وأنت إذا نظرت بفهم مستقيم

عن قلب سليم . فى نصوص الـكتاب والسنة المتضمنة لعلوم الإيمان وطالعت سير السلف الصالح من الصحابة والتابعين علمت وتحققت أن الحق مع الفرقة الموسومة بالأشعرية نسبة إلى الشيخ أبى الحسن الأشعرى رحمه الله الذى رتب قواعد عقيدة أهل الحق وحرر أدلتها . وهى العقيدة التى أجمعت عليها الصحابة ومن بعدهم من خيار التابعين وهى عقيدة أهل الحق من أهل كل زمان ومكان وهى عقيدة جميع أهل التصوف كما حكى ذلك أبو القاسم القشيرى رحمه الله فى أول رسالته . وهى بحمد الله عقيدتنا وعقيدة إخواننا من السادة الحسينيين المعروفين بآل أبى علوى . وعقيده أسلافنا من لدن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى يومنا هذا . وكان الإمام المهاجر إلى الله جد السادة المذكورين سيدى أحمد بن عيسى بن محمد بن على بن الإمام جعفر الصادق رضى الله عنهم لما رأى ظهور البدع وكثرة الأهواء واختلاف الآراء بالعراق هاجر منها . ولم يزل يتنقل فى الأرض حتى أتى أرض حضرموت وأقام بها إلى أن توفى فبارك الله له فى عقبه حتى اشتهر منهم الجم الغفير بالعلم والعبادة والولاية والمعرفة . ولم يعرض لهم ماعرض لجماعات من أهل البيت النبوى من انتحال البدع والأهواء ببركات نيـة هذا الإمام المؤتمن . وفراره بدينه من موطن الفتن المضلة فالله تعالى يجزيه عنا أفضل ماجزى ولدا عن ولده ويرفع درجته مع آبائه الـكرام فى عليين ويلحقنا بهم فى خير وعافية غير مبدلين ولا مفتونين إنه أرحم الراحمين .

والماتريدية كالأشعرية فيما تقدم .

وينبغى لـكل مؤمن أن يحصِّن معتقده بحفظ عقيدة الأئمة المجمع على جلالتهم ورسوخهم فى العلم ولا أحسب مبتغى ذلك يصادف عقيدة جامعة واضحة بعيدة عن الشبه ، سالمة من الأشياء الموهمة ، مثل (عقيدة الإمام الغزالى)

رضى الله عنه التى أوردها فى الفصل الأول من كتاب قواعد العقائد من الاحياء فعليك بها فإن تشوَّفت إلى مزيد فانظر فى (الرسالة القدسية) التى أوردها فى الفصل الثالث من الكتاب المذكور ولا تتوغل فى علم الكلام ولا تكثر الخوض فيه لمجرد طلب التحقق فى المعرفة فإنك لا تظفر بهذا المطلوب من هذا العلم ولكن إن أردت التحقق فى المعرفة فعليك بسلوك طريقته ، وهى التزام التقوى ظاهراً وباطنا وتدبر الآيات والأخبار والنظر فى ملكوت السموات والأرض على قصد الاعتبار وتهذيب أخلاق النفس وتلطيف كثافاتها بحسن الرياضة وتصقيل مرآة القلب بملازمة الذكر والفكر والإعراض عما يشغل عن التجرد لهذا الأمر فهذا سبيل التحصيل إن سلكته عثرت إن شاء الله على المطلوب وظفرت بالأمر المرغوب . والصوفية إنما جاهدوا أنفسهم وبالغوا فى رياضتها وفطموها عن عاداتها ومألوفها ، لعلهم بتوقف حصول كمال المعرفة على ذلك وعلى كمال المعرفة يتوقف التحقق بتمام العبودية الذى هو بغية العارفين وأمنيَّة المحققين رضى الله عنهم أجمعين . وقال رضى الله عنه فى بعض قصائده :

عليـــك بتحسين اليقين فإنه إذا تم صار الغيب عيناً بلا نُــكْرِ
وكن أشعريا فى اعتقــادك إنه
هو المنهل الصافى عن الزيغ والنُّـكْرِ
وقـد حرر القطب الإمام ملاذنا عقيـدته فهو الشفـاء من الضر
وأعنى به من ليس ينعت غيره بحجـة إسلام فيـالك من فخرِ

وقال فى التائية .

وكن فى أحاديث الصفات وآيهـــا
على مذهب الأسلاف حيث السلامـة

وله رضى الله عنه كلام نحو ما ذكرناه فى كلامه ومؤلفاته فليرجع إليه من أراده .

وقد ذكر الإمام الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر مايشبه ذلك فى رسالة له ذكرها شيخنا وشيخ شيوخنا الحبيب عيدروس بن عمر الحبشى فى عقد اليواقيت الجوهريه . واكتفى القطب العيدروس الأكبر فى الكبريت الأحمر، فى عقيدة أهل السنة والجماعة بذكر منظومة الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى الرائية وقال فى بعض فصول كتابه المذكور وكل من اعتقد الحلول والاتحاد فقد كفر وقال فى بعض وصاياه : اعتقادنا اعتقاد الاشعرية . ومذهبنا مذهب الشافعية على مقتضى الكتاب والسنة . وقال فى بعض رسائله الله لا إله إلا هو الحى القيوم الموجد الموجودات ، اه وهذا رد على أهل وحدة الوجود كما يفهم ذلك من عرف مقاصدهم وفلسفتهم اليونانية أو الهندية المجوسية .

وقال رضى الله عنه : عقيدتى أشعرية هاشمية شرعية كعقائد الشافعية والسنية الصوفية أهل السنة وكرر ذلك فى ألفاظ يحقق بها ذلك وقد ذكرنا خلاصة كلامه .

وأمر الحبيب عبدالله الحداد بعض تلاميذه باعتماد عقيدة السهروردى المسماة اعلام الهدى كما أمر آخر بحفظ عقيدة الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى مقتصرا منها على ما ذكره العيدروس فى الكبريت الأحمر .

ولسيدنا الحبيب عبدالله الحداد عقائد وجيزة جامعة كنت جعلت لها مقدمة قلت فيها بعد الكلام :

ولقد صدرنا ذلك بعقيدة إجمالية . هى العقيدة التى كان أسلافنا رضى الله عنهم يلقنونها أهليهم وإخوانهم ومن بعد ومن قرب من جيرانهم ، وعوام بلدانهم . وهى عظيمة النفع . جليلة الوقع . بل هى كنز من الإيمان مشتملة على

غاية الرضاء والاذعان . ونهاية القبول والتسليم . لما جاء به النبي الكريم ـ من الدين القويم . نقلناها بنصها من كتاب النصائح الدينية.والوصايا الإيمانية[١] . لسيدنا علم الاعلام ، وشيخ الإسلام ، مرشد العباد إلى طريق الرشاد ، السيد الشريف العارف بالله عبدالله بن علوى بن محمد الحداد العلوى الحسيني ثم عززناها بالعقيدة الجامعة له أيضا وهى التى ختم بها كتاب النصائح المتقدم ذكرها وقال فيها : خاتمه الكتاب فى عقيدة وجيزة جامعة نافعة إن شاء الله تعالى على سبيل الفرقة الناجية وهم أهل السنة والجماعة والسواد الأعظم من المسلمين . ثم اتبعناهما عقيدته : العقيدة السديدة الموافقة للكتاب والسنة الحميدة . نقلناها من مجموع مؤلفاته نفع الله به آمين . وقد طبعت بعناية حفيده المنتقشة فيه أخلاق أهليه والسارى نور أسرارهم فيه . الحبيب علوى بن محمد بن طاهر الحداد السيد الشريف العلوى الحسينى، وقال فى المشرع الروى : كان شمس الشموس. الشيخ عبد الله العيدروس . إذا أخذ العهد يأمر المريد بالتوبة والاستغفار وأن يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدَر خيره وشره من الله. وعذاب القبر ونعيمه ، وسؤال الملكين والبعث والميزان والصراط والجنة والنار . رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وآله نبياً ورسولاً ورضيت بك شيخا واسطة إلى الله تعالى . ثم يقول : مذهبنا فى الفروع مذهب الشافعى . وفى الاصول مذهب أبى الحسن الأشعرى . وطريقتنا طريقة الصوفية انتهى .

وذكر القطب العارف بالله أبو بكر بن عبد الله العيدروس فى الجزء اللطيف

---

(١) شرح هذه العقيدة الشيخ حسنين محمد مخلوف شرحا مفيدا طبع عدة مرات بمصر وانتفع به خلق كثير .

نحو ذلك إلا أنه قال : وفى الأصول شيخنا الأشعرى . وفى كتاب من القطب الحداد إلى أخيه الفاضل السيد حامد وكان فى الهند قال : فإنه قد بلغنا ما كثر فى أرض الهند من مضلات الفتن وما ترادف بها من البلايا والمحن . وما قد حصل بين أهلها من الخلاف والشتات وعدم الانتظام . وهذا بلاء عظيم . وأفحش منه واشنع واقطع ما بلغنا من ظهور من تظاهر ببغض للشيخين الصديق والفاروق رضى الله عنهما وتدين بالرفض المذموم شرعا وعقلا . فإنا لله وإنا إليه راجعون وهذه هى المصيبة العظمى ، والداهية الدهياء .

وفى كتاب آخر لبعض مريديه : وما ذكرتم من جهة كتاب الفصول المهمة التى فى مناقب الاثنى عشر الائمة فهو كتاب مليح . وليس فى مطالعته محذور. ونحن قد حصلناه وطالعناه ومصنفه من أهل السنة والجماعة . وتخصيصهم بذكر مناقبهم لايدل على شىء . فقد ذكر الشيخ ابن حجر مناقبهم والثناء عليهم فى الصواعق . وذكر مذهب الغير لايلزم منه الأخذ به فشان المصنفين والعلماء نقل المذاهب ونقل أقوال الموافقين والمخالفين والمذكورون فى الكتاب من أكابر السلف الصالحين ومن أئمة الدين . وإنما المحذور حصر الإمامة الظاهرة كما تقول به الفرقة المخالفة . وفقنا الله وإياكم وجعلنا من الذين هداهم لما اختلف فيه من الحق بإذنه انتهى .

وقال العلامة الحبيب علوى بن أحمد بن الحسن بن عبدالله بن علوى الحداد فى قول جده الحبيب عبد الله .

والمذهب المستقيم اسلكه نص الكتاب وصرح الخبر

والمذهب المستقيم أى مذهب أهل السنة والجماعة اتبعه كأبى من لدن جده عليه السلام وعلى والحسين إلى كافة أصوله وأسلافه العلويين انتهى .

وذكر الحبيب العلامة الداعى إلى الله شيخ مشائخنا محسن بن علوى بن

سقاف السقاف فى كتابه (تعريف الخلف ، بسيرة السلف) وهو الذى طبع عام ١٣٥٨ مع مقدمة لحفيده السيد العلامة محسن بن عبد الله بن محسن بن علوى نحو ما تقدم وذكر نقلا عن غرر البهاء الضوى للعلامة المحدث السيد محمد بن على خرد العلوى الحسينى قوله :

فسيدنا عبيد الله بن أحمد بن عيسى وذريته وهم أشراف حسينيون يمنيون عزّ مثلهم فى الناس لقول الإمام سفيان رحمه الله خمسة عزوا أى قل وجودهم وذكر منهم الشريف السنى . وطريق هؤلاء المذكورين سنيّة ، وأخلاقهم نبوية ، يعرف ذو الانصاف بديهة أنهم حقيقة سادة قادة أشراف ذوو إنصاف واتصاف . ثم قال ناقلا عن الحبيب عبد الله الحداد : وقال رضى الله عنه اثنان لهم المنة على آل أبى علوى سيدنا أحمد بن عيسى خرج بهم من الفتن والبدع . والفقيه المقدم سلمهم من حمل السلاح .

وسلفنا ينهون عن علم الكلام ويأخذون فى آيات الصفات وأحاديثها وفى المتشابهات بالتفويض والتسليم والإيمان وعدم التكييف والتشبيه مع عاية التنزيه والتقديس وتعظيم جانب الألوهية وقد قال الحبيب عبد الله الحداد فى مجموع كلامه : مامعناه : إنما أخذنا بقول الأشعرى لأنه يقول : آمنت بالله وبآيات الله وبرسول الله وماجاء عن رسول الله على مراد الله ومراد رسول الله أو كما قال وقد طال عهدى به .

والإمام الأشعرى قد قال فى الإبانة وهى عقيدة جامعة بناها على ما كان عليه سلف الأمه .

وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته ورسله وبما جاءوا به من عند الله . وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانرد من ذلك شيئاً . وقال أيضاً : ولا نبتدع فى دين الله مالم يأذن لنا . ولا نقول على الله مالا نعلم .

وقال أيضاً : والقرآن على ظاهره : وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا بحجة ، وإلا فهو على ظاهره . ثم قال : ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان .

وعليك أن تعتقد أن ما صرح به سلفك من أنهم على مذهب السنة والجماعة من لدن آبائهم إلى اليوم حق وصدق ليس فيه تأويل . ولا يدخله تخصيص ولا يسمع معه قول معترض . ولا نقد ناقد ولا تكذيب مفتون .

وأن ما قالوه ثابت لديهم بالنقل أبا عن أب وخلفا عن سلف ، مؤيد بالنقول الصريحة الواضحة المسندة فى كتب الحديث . كما فى كتاب ثناء القرابة على الصحابة وثناء الصحابة على القرابة وغيره . أخرج الحافظ ابن أبى نعيم فى حلية الأولياء بسنده عن على زين العابدين بن السبط الشهيد الحسين بن على على مشرفهم وعليهم الصلاة والسلام قال : أتانى نفر من أهل العراق فقالوا فى أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم فلما فرغوا قال لهم على بن الحسين : ألا تخبرونى . أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . قالوا : لا . قال فأنتم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ، قالوا : لا . قال أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين ، ثم قال : أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم . اخرجوا فعل الله بكم .

وروى أيضاً بسنده إلى على بن الحسين أنه قال : يامعشر اهل الكوفة .

أحبونا حب الإسلام ولا ترفعونا فوق حقنا .

وروى أيضاً بسنده إلى يحيى بن سعيد قال سمعت على بن الحسين واجتمع عليه ناس فقالوا له ذلك القول . فقال لهم : احبونا حب الإسلام لله عز وجل فإنه ما برح بنا حبكم حتى صار عارا علينا فهذا بعض ما روى فى ذلك عن زين العابدين وروى بسنده عن أبى جعفر محمد الباقر بن على زين العابدين عن عروة ابن عبدالله عنه قال : سألت أبا جعفر محمد بن على عن حلية السيوف فقال : لا بأس به . قد حلى أبو بكر الصديق رضى الله عنه سيفه . قال قلت : وتقول: الصديق قال : فوثب وثبة واستقبل القبلة ، ثم قال : نعم الصديق . فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولا فى الدنيا والآخرة .

وأخرج بسنده عن جابر عنه قال : قال لى محمد بن على : يا جابر بلغنى أن قوما بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ويزعمون أنى امرتهم بذلك فابلغهم أنى إلى الله منهم برىء والذى نفس محمد بيده لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم . ولا نالتنى شفاعة محمد إن لم أكن استغفر لهما واترحم عليهما . إن أعداء الله لغافلون .

وأخرج بسنده إلى شبعة الخياط مولى جابر الجعفى قال : قال لى أبو جعفر محمد بن على لما ودعته أبلغ أهل الكوفة أنى برىء ممن تبرأ منهم من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وارضاهما .

وأخرج بسنده عن محمد بن إسحاق عن أبى جعفر محمد بن على . قال : من لم يعرف فضل أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقد جهل السنة وقال ابن فضيل عن سالم بن أبى حفصة : سألت أبا جعفر وابنه (يعنى جعفر الصادق) عن أبى بكر وعمر فقالا يا سالم تولهما وابرأ من عدوهما فإنهما كانا إمامى هدى قال الحافظ الذهبى وإسناد هذا صحيح وابن فضيل وسالم من أعيان الشيعة الصادقين .

وأما الإمام جعفر الصادق : فقال الحافظ ابن حجر فى ترجمته . وقال : على بن الجعد عن زهير بن معاوية أنه قال لأبى جعفر بن محمد إن لى جارا يزعم أنك تبرأ من أبى بكر وعمر فقال جعفر برىء الله من جارك والله إنى لأرجو أن ينفعنى الله بقرابتى من أبى بكر . وقال حفص بن غياث سمعت جعفر بن محمد يقول ما أرجو من شفاعة على شيئا إلا وأنا أرجو من شفاعة أبى بكر مثله . وفى المشرع . وعن سالم بن أبى حفصة قال دخلت على جعفر بن محمد أعوده وهو مريض فقال : اللهم إنى أحب أبا بكر وعمر وأتولاَّهما اللهم إن كان فى نفسى غير هذا فلا نالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم هذا ثقة غير أنه شيعى غال يبغض الشيخين انتهى قلت كونه شيعيا غاليا الخ : دليل قوى على صحة روايته هذه فضلا عن ثقته فى نفسه لأنه روى ما هو حجة عليه ورواه عن جعفر الصادق الذى يعتقد أنه إمام من أئمته قال فى المشرع . وقال له جعفر : ياسالم أيسب الرجل جده : أبو بكر رضى الله عنه جدى . وما أرجو من شفاعة على شيئا إلا وأرجو من شفاعة أبى بكر مثله وعن العباس الهمدانى لما أردنا السفر من المدينة أتانا جعفر بن محمد فقال : إنكم إن شاء الله من صالحى أهل مصركم . فابلغوهم عنى من زعم أنى إمام مفترض الطاعة فأنا منه برىء . ومن زعم أنى أبرأ من أبى بكر وعمر فأنا منه برىء . قال فى المشرع : وقيل له ان قوما يزعمون أن من طلق ثلاثا بجهالة ردالى السنة يجعلونها واحدة ويروونها عنكم . فقال : معاذ الله . ماهذا قولنا . من طلق ثلاثا فهو كما قال :

قلت وقد سئل الإمام النقيب محمد الازرق بن على العريضى عن هذه المسئلة فأجاب بمثل جواب جده وبهذا ومسائل أخرى استدل على أنه لم يكن إماميا كما زعم الخراصون .

وقد روى ذلك محمد بن منصور الكوفى المرادى باسانيد متعددة عن الإمام

جعفر الصادق من رواية الحسين بن زيد بن على عنه ومن رواية أبي ضمرة وحاتم وأبي حمزة وابراهيم بن يحيي والسرى بن عبد الله السلمى ومحمد بن على بن جعفر قال حدثني محمد بن جعفر عن أبيه عن أبي جعفر أن رجلا سأله فقال: إنه طلق امرأته ثلاثا فقال: قد اخطأت ولزمك خطؤك .

والمراد بمحمد بن على محمد الازرق جد الإمام أحمد بن عيسى المهاجر ومحمد ابن جعفر هو عمه المعروف بالديباج وهو الذى بويع بالخلافة فى الحجاز فى سنى فتنة الأمين والمأمون وكان ابن أخيه محمد بن على العريضى وهو المعروف بالازرق ممن بايعه وكذلك أخوه على العريضى . ورواه عن جعفر الصادق غير هؤلاء . قال محمد بن منصور حدثنا أبو كريب عن حفص بن غياث قال سمعت جعفر بن محمد يقول من طلق ثلاثا فهن ثلاث وهو قولنا أهل البيت من طلق ثلاثا فهن ثلاث .

قال محمد بن منصور سألت أحمد بن عيسى بن زيد عن رجل طلق امرأته ثلاثا فقال بانت منه لا نقول فيها بقول الرافضة .

وبه قال وسألت محمد بن على بن جعفر عن رجل طلق امرأته ثلاثا فقال أنا اشدد فيه يعنى يوجبها ورجال السند هم محمد الأزرق بن على العريضى بن جعفر الصادق عليهم السلام ، وهذا كله من كتاب بدائع الأنور فى اختلاف علماء أهل البيت تأليف محمد بن منصور المرادى .

سبب الاطالة فى ذكر اعتقادهم

قد يستكثر بعض الناس ما كتبناه هنا عن اعتقاد السادة العلويين ويعجب لذلك لأنه أمر متواتر عنهم مشهور بين الناس ، ثابت فى مؤلفاتهم وتراجمهم ومؤلفات غيرهم ممن تعرض لذكرهم .

ونقول إن السبب فى ذلك أنه قد حدث فى عصرنا وهو عصر الغرائب

أن بعض المشار إليهم قام منافحاً عن الامامية[1] وعن مذهبهم فردّ على أهل السنة والجماعة انتصارا لهم . بل وردّ على الزيدية للخلاف القديم الذى بينهم وبين الامامية . لأن مذهب الامامية أو من قال ذلك منهم وجوب قتال الزيدية قبل قتال الـكفار ، لأنهم عندهم هم الـكفار ، القريبو الدار . وتأولوا فى ذلك قول الله تعالى (يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونـكم من الـكفار وليجدوا فيـكم غلظة) . فهم وفاء بالغلظة يقتلون الأطفال منهم ومن لا يقاتل كما تفعل الخوارج . وهذا هو أحد الأسباب فى تجدد الثورات والـكوارث فى اليمن لأن فيها امامية فى حراز ونجران وعدن ومواضع أخرى . فلذا تبرع نصير الامامية المشار إليه بالرد على الزيدية كما رد على الأشعرية وارتـكب شناعة أخرى ما كان لها بخليق ، ابتعد بها عما كان لسلفه الصالح من معتقد وطريق . ذلك بأنه زعم أنهم منذ كانوا لم يزالوا إمامية . ومعنى الامامية الرافضة . والامامية يقولون بفسق وكفر الصحابة إلا نفرا قليلا . وبفسق وكفر جمٍّ غفير من أهل البيت . فجحد الصحيح المشهور المتواتر عن سلفه بمزاعم مردودة . وخيالات عن وجه الصواب مصدودة . وتلفيقات لا سائغة ولا محمودة . ومحاولات ما هى فى قيس النظر والبرهان معدودة . وكأنه اغتر بكلام بعض الامامية الغالية غير كاشف عن باطن ما هم عليه . ولا معطيا للنظر حقه . فإن الامامية من بين فرق الأمة قد تفرقت بددا ، وتمزقت قِدداً . حتى قيل فى غلاتهم إنهم خمس عشرة فرقة . وفيهم ظهرت الشنائع التى لم يسمع بها ولا بما يقاربها فى سائر فرق الأمة . كالقول بالحلول والتناسخ والرجعة والاظلة بتطبيق الآفاق على النفس أو الأشخاص على الظلال أو العالم الأكبر على العالم الاصغر وتأويل ظاهر الشرع

---

(١) هم الشيعة الامامية أو الاثنا عشرية أما الزيدية فهم فرقة أخرى من الشيعة ينسبون إلى الإمام زيد بن على زين العابدين بن الحسين السبط رضى الله عنهم وبينهم وبين الامامية خلاف ونزاع كبير كما ذكره المؤلف وكل منهما فرق متناكرة .

إلى ما يناقضه فقابلوا الأمر بالترك . والنهى بارتكابه وجعلوا لكل شاخص روحا وأوّلوا التنزيل وادعى بعضهم للأئمة الألوهية أو النبوة . وزعموا سقوط التكاليف واطراح الأحكام والأعمال . ونشأت عنهم الفرق المجوسية المتظاهرة بالإسلام المستبطنة للكفر حتى صاروا بذلك عنصر الدجل والدجالين . وقالوا بالتناسخ وجعلوا له مراتب كالمجوس وأنكروا القيامة وقالوا بالفيض والتجلى وأنكروا الابداع والقدرة والإيجاد والصفات . وقالوا بالحروف العالية بما يشبه القول بالمثل الافلاطونية . وعنهم نشأت فرق القائلين بوحدة الوجود . وقد ابتدأت فرق الامامية فى تلك الشناعات من زمن الصادق بل ومن قبله .

ثم أشار (ذلك المنافح عن الامامية) إلى تأويل معنى الامامة إلى ما يشبه مايقوله الامامية من صحة وجود إمام لا بيعة له ولا أنصار ولا ظهور وبلا أمر ولا نهى ولا عمل ظاهر به يقتدى ، ولا علم منتشر به يهتدى ولا قيام باحكام الشرع وتنفيذها ولا إمرة ولا قوة فزعم أنها القطبانية التى قال بها السادة العلويون كأنه لا يعلم أن القول بالقطبانية قال به الصوفية من قبل ، وإنما تصوف السادة فى القرن السابع بعد ما امتلأت الدنيا تصوفا إلى غير ذلك مما لا حاجة للتطويل فيه ، على أنا لم نقطع الرجا أن يلهم الله ذلك المشار إليه رشده . ويملأ بنور الهداية قلبه ، فيراجع الحقَ الذى هو أولى به بفضل من الله ورحمة.

على أنه ليس من الصواب ولا الفعل الجميل إذا انتحل المرء نحلة أو زلّ فى طريق النظر زلة أن ينحلها الأبرياء . ويرمى بها أناسا قد قدموا إلى ربهم وأفضوا إلى ما عملوا . وضبطت التواريخ حقائق سيرهم ، وصرحوا بالمحض من عقائدهم ، ليس له أن يتهم أسلافنا بما برأهم الله منه ولا أن ينسب إليهم هذه الحماقات . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

نهيهم عن مطالعة كتب الرقائق المجردة

وما فيه الشطح والزيغ

قال الحبيب عبدالله الحداد رضى الله عنه فى رسالة المعاونة بعد أن أثنى على الكتب الغزالية وأوصى بها . وعليك بالاكثار من قراءة كتب الحديث والتفسير ومن مطالعة كتب القوم عامة فإن ذلك فتح عام . وسلوك تام . ولكن ينبغى لك أن تحترز من مطالعة ما يشتمل من رسائلهم على الأمور الغامضة . والرقائق المجردة . وهذه الأشياء توجد فى أكثر مؤلفات الشيخ محمد بن عربى وفى شىء من رسائل الإمام الغزالى كالمعراج والمضنون به .

وقد ذكر الشيخ زروق فى تأسيس القواعد قاعدة فى التحذير من الكتب التى تجرى هذا المجرى فراجعها إن شئت ، ولم يذكر من جملتها مؤلفات الشيخ عبد الكريم الكيلانى لأنه متأخر ومؤلفاته من عند آخرها مما ينبغى الاحتراز منه ايثارا للسلامة . (فإن . قال قائل) لا بأس علىّ من مطالعة هذه الكتب لأنى آخذ ما أفهمه وأسلّم مالا أفهمه لقائله . (قيل له) قد أنصفت ونحن إنما نخشى عليك مما تفهمه على غير وجهه فتضل عن سواء السبيل . كما وقع ذلك لأقوام عكفوا على مطالعة هذه الكتب فصاروا إلى زندقة وإلحاد ، وقالوا بالحلول والإتحاد فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . اه .

وإنما صار أولئك إلى الزندقة والإلحاد والعياذ بالله لأنهم اتبعوا ماتقتضيه نصوصها ومنها الصريح الذى لا يمكن تأويله . وقد حاول قوم تأويلها إلى ما يوافق عقائد المسلمين فلم يأتوا بشىء مقبول لغلو عباراتها فى الضلال والبعد عن الحق . ولم يتأت لهم ولا يتأتى لأحد بعدهم أن يصلح فسادها ، ولا أن يقيم معوجها وميداءها : كما قال ذلك الحبيب الحداد فى رسالة منه لتلميذه الحبيب العارف بالله أحمد بن زين الحبشى قال فيها :

وما استشرتم فيه من تحصيل كتاب اليواقيت للشيخ الشعرانى رحمه الله فالصواب فى هذه الساعة تأخير التحصيل له . لأن الكتاب فيه أشياء مشكلة وهو كالمستغنى عنه بما قد ألفه المتقدمون من المتكلمين والمحققين ، وإنما تأليف الشيخ له فيما يظهر لمعنى قصده يتعلق بالشيخ ابن عربى رحمه الله وتجاوز عنه ، وذلك أمر لا يتم للشيخ الشعرانى ولا لغيره اه .

وما أشار إليه عن الشيخ زروق فقد رأيناه فى سفينة الإمام الحبيب العارف بالله أحمد بن زين الحبشى المسماة (سفينة النجاة والكمال ، من شر طغيان طوفان الغفلة والجهل والضلال) فى مجلد منها أطلعنا عليه السيد الفاضل المقبل المتحرى عبد القادر بن سالم بن طه الحبشى نقلا عن الإمام زروق .

(فائدة) حذر الناصحون من تلبيس ابن الجوزى بل ومن مواضع فى مواعظه ، وفتوحات الحاتمى ، وتائية ابن الفارض بل كل قصائده أو جلها ، ورجال الششترى ، وتآليف شيخه ابن سبعين ، وكتاب خلع النعلين لابن قسى وابن وسكين والعفيف التلمسانى والعجمى الايكى الأقطع وابن اجلا ومن نحا نحوهم . واختلف الناس فيهم اختلافا متباينا فمن معتقد فيهم الولاية ومن معتقد فيهم الغَواية . ومن آخذ بالتسليم ، ومن قائم بالحق وهو أخذ البيِّن بنفسه ، وترك ما عداه لا ربابه . مع حسن الظن بالجميع وبالله التوفيق .

وقال فى موضع آخر قال الإمام زروق فى شرح المباحث وأما القول بالظهور والحلول فكفر وقد رمى به جماعة منهم الحلاج والشودى وابن أعلا (كذا) وابن قسى وابن ذوسكين (كذا) وابن عربى وابن الفارض وابن سبعين والعفيف التلمسانى والعجمى الايكى والاقطع الششترى فى آخرين ذكرهم وقال بذلك أبو حيان فى كتاب النهر والبحر عند قوله تعالى وقالت اليهود الآية . ثم قال زروق وقد تقدم الجواب عنهم وأن الظن بهم البراءة مما رموا به ولكنهم

ضاقت عليهم العبارة عن حقائق ودقائق صريح العلم فأدّت بظاهرها مايتوهم ، وهم براء منه وهذا معتقدنا فيهم . وعند الله الموعد انتهى .

(قلت) صريح كلام الشيخ زروق أنه لا يجرّحهم ولكنه يجرح كتبهم ويقول بخطأ مافيها . ولتردده هذا أسباب . منها أن يكون ماقالوه مع سكر وغَيبة ، ومنها أنهم أرادوا بذلك معانى صحيحة لم تقم عبارتهم بإيضاحها فكان ظاهرها باطلا . ولم يذكر الحامل لهم على إبقائها بعد إفاقتهم وفيها مايضل به الناس . بل ماينافى دين الإسلام جملة كافية وما يكون مماثلا لديانة بعض الفلاسفة اليونان بل ولديانة المجوس الهندوك .

ومن أسباب تردد الشيخ زروق أنه يقع لبعض الصوفية المستقيمين على الشرع وعقائد الإسلام حال يسمونه (الفناء) يذهب معه شهود هذا الوجود فلا يرى إلا الله . وهذا فناء شهود لا فناء وجود فالوجود باق . ولكن غمره ماورد عليه فاختفى عن نظره ماسواه . وقد يكون ذلك لكلال بصيرة المشاهد أو لقوة الوارد . والمغمور معذور . حتى عند إفشاء بعض الأسرار والعلوم الكشفية قال الحبيب عبد الله الحداد :

وإن الذى أفشى من القوم ماسبى ـــله الستر مغمور بحالٍ قويّةٍ

وقد ترك الشيخ زروق عددا ممن يقول بوحدة الوجود أو يقول بالشطح وما ينافى ظاهر الشرع وباطنه منهم عبدالرزاق القاشانى المتوفى سنة ٧٣٩ ومنهم شهاب الدين السهروردى المقتول قتله صلاح الدين سنة ٥٨٧ وهو غير صاحب عوارف المعارف ومنهم صدر الدين القونوى ونجم الدين بن إسرائيل وعفيف الدين التلمسانى وأبو الحسن بن الجربى . ومنهم أهل الطريقة المولوية وهم اتباع جلال الدين الرومى صاحب ديوان المثنوى المتوفى سنة ٦٧٢ وابن سبعين المتوفى سنة ٦٦٧ ومن الفرس فريد الدين العطار وسعيد الدين الفرغانى ومجد الدين

سنائى المتوفى سنة ٥٤٥ ومنهم جلال الدين وقد ذكرناه وعبد الرحمن الجامى . فهذا المذهب الخطر كما يظهر من تواريخ وفيات من ذكرنا ظهر فى بلاد الفرس قبل ظهوره على يد متفلسفى أو متصوفى المغاربة الذين هاجروا إلى الشرق . و بلاد الفرس أقرب إلى الهند معدن القول بمذهب وحدة الوجود والقائلون به هم مجوس الهند البرهمية والبوذية المختلطة بالبرهمية وهى قديمة هناك قبل البعثة وفلاسفة اليونان القائلون بها إنما أخذوها عنهم وكلهم يجحدون الله ويقرون بهذا العالم فقط كالدهرية وهم أصحاب رياضات ومجاهدات زادوا بها ضلالا .

قال فى (عقد اليواقيت الجوهرية) فى مواهب القدوس فى مناقب الشيخ أبى بكر العيدروس للشيخ محمد بن عمر بحرق قال سمعت سيدى يعنى الشيخ أبا بكر المترجم له يقول لا أذكر أن والدى رحمه الله ضربنى ولا انتهرنى قط إلا مرة واحدة بسبب أنه رأى بيدى جزءاً من الفتوحات المكية لابن عربى فغضب غضبا شديداً فهجرتها من يومئذ . قال ، وكان والدى ينهى عن مطالعة كتابى الفتوحات والفصوص لابن عربى ويأمر بحسن الظن فيه وباعتقاد أنه من أكابر الأولياء العلماء بالله العارفين بالله تعالى . ويقول إن كتبه اشتملت على حقائق لايدركها إلا أرباب النهايات فتضر بأهل البدايات اه .

ومما كتب به سيدنا قطب الارشاد الحبيب عبد الله بن علوى الحداد إلى بعض أصحابه : لا تعلق خاطرك بالشيخ ابن عربى وأضرابه فإن ذلك معجزة وربما دعا بعض الناس إلى الدعوى بما لا يبلغه وعليك بالعلوم الغزالية وماجرى مجراها من الصوفيات والفقهيات التى هى علوم الشرع وصريح الكتاب والسنة فثم السلامة والغنيمة واحترز مما سوى ذلك فإنه ربما يشوش على الإنسان سلوكه انتهى .

وقد عقد رضى الله عنه فصلا فى كتابه رسالة (المعاونة) فى النهى عن

مطالعة كتب كثير من المصنفين عين بعضهم فلينظره مريد الاطلاع عليه في موضعه .

وعلى طريقة هذين الشيخين القطبين سيدنا تاج الرؤس عبدالله العيدروس وإمام الأفراد ، عبد الله الحداد ، أكثر السادة آل أبي علوى أو كلهم في النهي عن التعلق بكتب الرقائق المجردة مع اعتقاد مصنفيها . اه المقصود منه .

وقد يستغرب الناظر قول الإمام زروق وأما القول بالحلول والظهور فكفر مع وقوفه مع التسليم وحسن الظن ، والصواب أنه لا غرابة في ذلك لأن بعض من ذكر ولاسيما ابن عربي تتناقض أقوالهم فتارة يقولون بهذا وتارة يقولون بذلك ويثبتون أمراً ثم يأتون بما يمنعه وقد يكون عن غلط أو لأمر آخر قد نشير إليه فيما يأتي .

قال شيخ مشائخنا السيد أحمد دخلان في تقريب الأصول .

قال الإمام القطب سيدنا عبد الله العيدروس رضى الله عنه : ليس لنا طريق ومنهاج سوى الكتاب والسنة . وقد شرح ذلك سيد المصنفين ، وبقية المجتهدين حجة الإسلام الغزالي في كتابه أعجوبة الزمان العظيم الشأن الملقب إحياء علوم الدين الذي هو عبارة عن شرح الكتاب والسنة والطريقة والحقيقة ، فعليكم بالكتاب والسنة أولا وآخرا وظاهراً وباطنا واعتبارا واعتقادا وشرح الكتاب والسنة في الكتاب إحياء علوم الدين ثم قال : قال في المشرع الروى ، وكان العيدروس رضى الله عنه ينهى أصحابه عن مطالعة الفتوحات المكية والفصوص ويأمرهم بحسن الظن في الشيخ محيي الدين بن عربي واعتقاد أنه من أكابر الأولياء العارفين وماذاك إلا لعلوها عن فهم العوام وغموض معانيها على كثير من الفهوم ، بخلاف كتب حجة الإسلام الغزالي إلى آخر ماقال .

قلت ماقاله صاحب المشرع معقبا لكلام القطب العيدروس ليس بوجيه

بل هو كالناقض لكلام العيدروس رضى الله عنه والصواب أن نهيه عن مطالعتها لما فيها من الكلام المناقض لعقائد الاسلام ودين الاسلام وأما معانيها على مايقتضيه ظاهر لفظها وسياقها فيفهمه كل من شدا علما ، ولو اعتذر بأن ظاهرها غير مراد أو أن معناها الحقيقى مستور باصطلاحات واستعارات لكان اعتذارا مفهوما . ولكن يبقى الجواب عن الحامل لابن عربى على هذا المركب الصعب الذى يركبه . والفائدة التى حصلت للامة المحمدية من صنيعه . ثم ذكر عن الجلال السيوطى اعتقاد ولايته . وتحريم النظر فى كتبه وكذلك قال ابن حجر فى فتاويه . ولكن شيخ شيوخنا دحلان قال أيضا فى محل آخر وسئل الشيخ أحمد الرملى عن القائل بوحدة الوجود . فقال : يقتل هذا المرتد وترمى جيفته للكلاب لأن قوله هذا لايقبل تأويلا . وكفره أشد من كفر اليهود والنصارى واستحسن الشيخ ابن حجر منه هذه الفتوى ، وكان قبل ذلك يتمحل لبعض المتصوفة القائلين بها ويؤول كلامهم فرجع عن التأويل انتهى .

(قلت) أما الشيخ ابن حجر فقد اضطرب كلامه واختلط مع حكايته الكفر عن بعض من طالع تلك الكتب والحكم الشرعى الفقهى فيما كان كذلك تحريم مطالعتها من باب سد الذرائع وقد اعتذر عنها الشيخ ابن حجر بأن فى تلك الكتب مواضع عبر عنها بما لا يطابقه ظواهر عباراتها ، اتكالا على اصطلاح مقرر عند واضعها ، وقد كرر ذلك فى فتاويه مع أن المتحرى إذا نظر إلى معانى الاصطلاحات الصوفية وتفسيرها فى العوارف . وفى رسالة الإمام الغزالى التى أجاب بها من استشكل مواضع فى الاحياء وفى رسالة القشيرى ومنازل السائرين للهروى ثم قابل بينها و بين رسالة ابن عربى والجرجانى وكلاهما فى الاصطلاحات وجد أن المراد مختلف بين فريق الصوفية الخلص وفريق القائلين بوحدة الوجود . فلكل اصطلاحات توافق مذهبه وفى كتاب الهروى

مالا يناسب كلام غيره وما فيه إيهام شديد . وفى جامع أصول الأولياء للنقشبندى كثير من الاصطلاحات المضرة .

والشيخ ابن حجر كما تدل عليه ابحاثه الفقهية شديد الذكاء والإدراك وأحسبه لم يطالع شيئا من تلك الكتب ففى كلامه مايدل على أن فيها مايوهم الحلول والاتحاد وهذا لا يرضى به القائلون بوحدة الوجود . فإن الحلول يستلزم اثنين حالا ومحلولا فيه . وكذلك الاتحاد فإنه من باب الإفتعال كالاقتران يستلزم مقترنا ومقترنا به فالاتحاد يستلزم اثنين متحدا ومتحدا به . وهم لا يقولون بهذا .

ومن العجب أنه فى أحد أجوبته فى فتاوية الحديثية أنكر على قوم من جهلة المتصوفة الذين يشتغلون بمطالعة . كتب ابن عربى واتباعه مع خلوهم عن العلوم الرسمية ، والأحوال الكشفية ، واتصافهم بالجهل المحض . ويتخذونها ديدنا حتى يفهموا منها غير المراد وهؤلاء الكفر أقرب إليهم من الإسلام ولقد شاهدنا جماعة منهم يأكلون فى رمضان . ويختلون فى نهاره بالمرد فى الحمام . ويفعلون أقبح من ذلك . ويقولون . نحن لا نشهد إلا الله . وهذه التحليلات والتحريمات إنما يخاطب بها المحجوبون عن الله وأطال فى ذلك — وقال : إن قوما يستبيحون اكل أموال الناس بالباطل وتلهيهم مطالعة كتب ابن عربى عن الجماعة وأداء الفرائض . ولقد شافهنى بعضهم بكثير مما قدمته . وبعضهم يقول العالم قديم . والكفار لا يعذبون فى جهنم اه .

وهذه الأقوال التى حكاها عنهم موجودة فى تلك الكتب فما العذر فى عدم القطع فى الفتوى إلا ماقلناه إنه لم يطلع عليها كما نظن والله اعلم .

ومع هذا كله فله فتويان إحداهما بعد الأخرى جوابا لمن سأله عن حكم مطالعة تلك الكتب قال: فى أولاهما ينبغى للإنسان أن يعرض عنهما بكل وجه امكنه . وفى الثانية قال : إن مطالعتها جائزة بل مستحبة .

مما قاله السيد زيني دحلان إنه أي ابن حجر رجع عن التأويل ربما كان ذلك في فتاويه المنثورة التي جمعها بعض تلاميذه ولم تنتشر وقد وقفت على بعض جوابات مأخوذة منها والله اعلم .

فعليك أن تتمسك بما قاله الإمامان عبد الله العيدروس وعبدالله الحداد من تحريم مطالعتها وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل . وكفى بهما حجة للمهتدى ، وقدوة للمقتدى ، وما يلقَّاها إلا ذو حظ عظيم .

الفصل الخامس

فى التحذير من الطرائق الشيطانية الممقوتة المؤدية إلى الزندقة والكفر الصريح

ذكرنا فيما سبق ذكر الحبيب عبد الله الحداد لهذه الطرائق الشيطانية الممقوته وأنها كانت موجودة فى جهات أرض الدكن من الهند وفى آشى وأنها المراد بقوله : وبجهات أخرى من أقصى أرض الهند . وفى كلامه هـذا مايفهم منه أنهم كانوا يسمون سمطرا التى منهـا آشى وجهاتهـا من الجزائر الجاوية وغيرها بذلك الاسم أى أقصى الهند أو الهند الأقصى .

بل إن الأمر أشد من ذلك فإن تلك الطرائق الكفرية منتشرة فى بلاد الملايو وجاوه وما والاها وفى بلاد الزنجبار وبلاد الصومال وفى عدن وأرباضها وبعض قرى لحج وكلها منتشرة بالانتساب إلى الطرائق المشهورة كالنقشبندية والقادرية وبعضها غير منتسب . وشيوخهم قد يكونون من الجهال البحت أو من الذين ادركوا علما ناقصا أو من المكبين على كتب الكيلانى أو من بعض فرق الإسماعيلية الغالية المتلونة بلون أهل التصوف أو من أهل وحدة الوجود المتمجسة .

وقد رأينا منهم فى بلاد الزنجبار من مواليد العرب من لايتديَّن ولا يصلى

ومن سائر سكانها أيضاً جرى لنا معهم واقعة مشهورة . ولقينا فى عدن وبلاد الحبشة مع أتباع حسن الضالعى الباطنى المشهور وكان قد ادعى أنه من السادة آل باهرون وماوجدنا له نسبا وأخبرنى سلطان الضالع أنه كان من رعيته وخدامه وليس من السادة وجعل لنفسه دعاة ونقباء وآوى إلى جانب فى جبل يافع يسمى فى القديم حجر ويقال له الآن بلاد المفلحى اجتمعت باحد نوابه وببعض اتباعه واطلعت على مكاتبات له ورسالة وسيأتى ذكر بعض مكاتباته التى أمرنى شيخنا فقرأتها عليه فى مجلس جمع عدة من الفضلاء وسألنى رضى الله عنه ماذا أنكرت فيها فاخبرته . فحكى سيدى بعقب ذلك قصة بعض من ولع بامثال ذلك من سكان بلد الخريبة بجهة وادى دوعن فلما مات وكان الحبيب عبد الله الحداد حينئذ هناك فى بعض زياراته فسألوه ماذا يفعلون بكتب الرجل المشار إليه فأمرهم أن يدفنوها معه خوفا من شرها وفتنتها .

ولما كنت بالحبشة وكان بعض طلبة العلم من الحنفية يقرأ عندى فى بعض كتب الماتريدية فى علم التوحيد وأكثر الحنفية ماتريدية . والماتريدى والأشعرى هما شيخا أهل السنة والجماعة . وبينما نحن فى أثناء ذلك جاء رجل من أهل اليمن ذوجبة وعمامة لمجلس وكانت القراءة فى صفات الله العلى من القدرة والإرادة والسمع والبصر والعلم والحياة والكلام . وأخذت أقرر ذلك لطالب العلم المشار إليه واذكر له ما لابد منه من أنها صفات ذاتية لله لاتشبه صفات المخلوقين أزلية دائمة فاعترت ذلك اليمنى بغتة وسألنى هل الأمر هكذا . قلت له نعم هذا اعتقاد المسلمين . فقال : اليس سمعنا هو سمع الله . وبصرنا بصر الله . فقلت له ليس كما تقول . فمن علّمك هذا قال علمنية رجل من نقباء حسن الضالعى جاء إلى هنا وأمرنى بأن آتى كل يوم بمائة ألف من قولى : أنا الله . وقال لى : إذا دمت على ذلك فسيكون لك شأن كبير وسيطيعك الناس ويتبعو لك مثل هيلاسلاسى أى ملك الحبشة . فقلت له وهل حصل لك ماقاله : قال : لا بل احترق بيتى وماتت

امرأتى وابنى وكرهنى الناس. فبينت له حقيقة دين الإسلام. وأرجو أن يكون الله قد تاب عليه ووصلتنى رسائل من مؤلفاته طبعوها فى مصر أرسلها إلى بعض أهل السنة والجماعة من أهل عدن.

وكنت مرة فى عدن فذكر لى بعض أصحابى شابا من بعض البيوتات العريقة المشهورة منعزلا فى بيته حافظا لجوارحه السبعة فوقع فى قلبى منه شىء ثم أخبرنى بعضهم أن فلانا يتردد عليه. فخفت أن يكون أضله لأنى قد علمت أن فى أرباض عدن باطنية يقولون بوحدة الوجود وقد كتب شيخ منهم مرة كتابا لشيخنا الحبيب العارف بالله محمد بن طاهر بن عمر الحداد على لسان التصوف وعلوم الحقائق فأجابه شيخنا بجواب يؤنبه ويعاتبه لما فى كلامه من سوء الأدب مع الله.

ثم كان من الصدف أن خرج ذلك الشاب من عدن لزيارة حضرموت. وجاء إلى مع جماعة من أهل دوعن وباتوا عندنا ليلة أو ليلتين فسمعتهم يتحدثون بالإنكار عليه أنه لا يصلى وألحوا عليه ليقوم فيصلى الصبح فلم يفعل فنصحته ووعظته فرأيته ينظر إلى كأنه يستجهلنى بانى واقف مع ظاهر الشرع وهو قد وصل إلى الحقيقة وعزمت مع أولئك الأصحاب لزيارة حريضة وهو معنا ولم يصل لله ركعة. واغتنمت الفرصة ليلة فى مجلس انعقد فى بيت السادة آل طالب آل العطاس فنصحته وذكرت له أعمال السلف الصالح كالعيدروس الأكبر وغيره. فالتفت إلى. وقال: وهل العيدروس يعرف التوحيد. فقلت له نعم وهو من أشد الناس قياما بحق الله وعبادته وأداء فرائضه. وسيد الموحدين محمد صلى الله عليه وآله وسلم قام الليل حتى ورمت قدماه فقيل له: يارسول الله أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وماتأخر. قال أفلا أكون عبداً شكوراً. وإذاً توحيدنا غير توحيدهم فتوحيدنا هو الإيمان بالله وحده وتوحيدهم

الـكفر بالله وجحد وجوده . نسأل الله الثبات على الإيمان والإسلام حتى نلقاه برحمته ومنّه تعالى .

وجاءنى كتاب مطول من رجل آخر من أهل (عدن) أراد أن يختبر باطن أهل تلك النحلة لأنهم يكتمون حقيقتها ويأخذون على من يريد دخولها عهوداً وأيماناً ثقيلة فقبلوه ومكث معهم مدة . فلما كان ذات ليلة وقد اجتمعوا عند شيخهم قام فيهم وابتدأ يبين لهم خطأهم قال . فصاح الشيخ يقول . محجوب . محجوب . فصاح الحاضرون بصوت واحد . محجوب . محجوب . قال وطال الـكلام بينى وبينهم وهم لا يردون على إلا بقولهم : محجوب . حتى خرجت من بينهم بعد تهديد ووعيد .

ولما كنت فى جاوه كنت أسمع عن أناس شيئاً لم يتحقق لى حتى جاء إلى بعض أساتذة مدرسة فحدثنى عن فئة كثيرة العدد تنكر النبوة والدين . وتقول بالطبيعة وبالمعلم وهم يسمونه (كورو) أى أن لـكل شخص معلما باطنيا فقلت إنما يحكى مثل هذا عن غاندى واتباعه من المجوس فهل هؤلاء الذين ذكرتهم متمجسة فمغمم الـكلام وذهب .

وكنت يوما فى بعض مدن (الملايو) فجاءنى رجل بكتاب يسألنى عن صحته وهو مطبوع . فرأيته فى علم التوحيد فلما تصفحته رأيته يجعل صفات الله من السمع والبصر إلى آخر مسائل التوحيد للإنسان فاشتبشمت ذلك الصنيع الوقح الجرىء لأن المؤلفين فى تلك النحلة الباطلة كانوا يتسترون بها ويكسونها بكسوة صوفية . ويخلطون بها جملا من كلام أهل التصوف ، وعرضت على كتب عديدة أكثرها مطبوع بمكة وبعضها مطبوع بمصر بلغة الملايو فأفتيت بحرمة قراءتها وكلها فى هذه النحلة . وأخبرنى بعض القضاة أنه صادر مجلداً كبيراً كان طبع بمصر يؤكد فيه مؤلفه عبادة الفضاء . وهذه نحلة هندية مجوسية لأنهم مفترقون إلى مذاهب عديدة .

وأطلعنا على غير ذلك مما لا نطيل فيه ، وفيما ذكرناه دلالة على ضلال المتكتمين .

ثم كشف الله حقيقة تلك الطرائق الضالة بسعى بعض طلبة العلم النبهاء من الملايين واستولى على عدد من كتبهم المخطوطة وكانوا يكتمونها أشد الكتم فخلص ما فيها من العقائد الكفرية وكلها تدور حول « وحدة الوجود » وهى متضمنة لإنكار وجود الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار وإنكار الأحكام والحلال والحرام ولهم رياضات ذكرهم فيها قولهم : لا آله إلا أنا ، بدلا عن قول المسلمين لا إله إلا الله ، ويتبع ذلك أمور شنيعة لا أستحسن ذكرها هنا لشدة فظاعتها وقذارتها مما لا يوجد نظيرها لا فى دين اليهود ولا النصارى .

وقد رأينا تفاصيل نحلتهم ، وفلسفتهم أو ما يسمونها أسرار دينهم مثل ما كانت تقوله فرق الشيعة الغالية من الإسماعيلية وغيرهم مجموعا إليه فلسفة مجوس الهند القائلين بوحدة الوجود مع دعارتهم وبذاءتهم .

وكل ما ذكرته هنا من وصفهم لا يؤدى حقيقة ما هم عليه . فإنه أخبث وأفحش وأشد رجسا وقذرا من كل ما يخطر بالبال ، وإذا خلوا بأنفسهم فلا يصلون ولا يصومون ، وإذا حضر من يتخوفون منه أن ينم عليهم تظاهروا بالصلاة والصوم رياء ونفاقا . هذا مع تسترهم بطرائق الصوفية . وتظاهرهم بالإسلام ونقلهم بعض أقوال مشائخ الصوفية المشتبهة والمجملة فيحرفون معناها إلى ما يقولون ، ولا يعتقدون بشيء وراء هذا العالم ويصوبون كل الأديان ، وعباد الأوثان والأصنام والحيوانات وكلها عندهم هو الله ، ولا يحرمون فرجا من ذكر أو أنثى ، وأعظم ذكرهم ما كان عند مقارفة الفاحشة . ولا يحرمون شيئا بل دينهم الإباحة وإسقاط التكاليف ، ويجوزون الكذب والغدر والسرقة

إذا أتقنها ولم تؤده إلى السجن ، ويعبدون أنفسهم ويؤلهونها ويعبدون فرجى الذكر والأنثى مثل مجوس المندفان معابدهم مملوءة بصورهما وهم يبالغون فى عبادتها والخضوع لها ويجرى هناك من أعمال الدعارة والفحش مالا نظير له . وهؤلاء يعبدون المنى والعناصر من التراب والماء والنار والهواء ويعبدون الأم والأب والجن والشياطين مع تكذيبهم بالشيطان بالمعنى الذى يعرفه المسلمون . ويعبدون لذة الجماع ولهم فيها فلسفة وهذيان . كما ينكرون وجود الله ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم مع ذكره فى كتبهم ولكنهم يريدون به معنى آخر فى فلسفة وهذيان إلحادى ويقولون ان محمدا الذى فى المدينة مجازى . وفى كتبهم نقل كثير من كتب القائلين بوحدة الوجود ، ومنها أخذوا . وعليها اعتمدوا .

وأما التوحيد فلا يقصدون به أن الله واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله كما هو مقرر فى كتب التوحيد الإسلامية . وإنما التوحيد أن تعتقد أنه ليس فى الوجود رب وعبد ، ولا آله ومألوه ، ولا خالق ومخلوق . بل ماهناك إلا العالم وهو الذى يسمونه الله . وهذا هو مافى كتب أهل وحدة الوجود مع سفسطة وتذبذب ولا سيما فى مؤلفات التلمسانى والقونوى ، وأما ابن عربى فإن فى كتبه كثيرا من المعانى الإسلامية والآداب والوصايا وقد يتكلم بالاعتقاد الصحيح كقوله فيما لابد للمريد منه : وكذلك جاء فى السنة « كان الله ولا شىء معه » قال وزاد العلماء وهو الآن على ماعليه كان ، ولم يرجع إليه من خلقه العالم وصف لم يكن عليه ولا عالم موجود . فاعتقد فيه من التنزيه مع وجود العالم ماتعتقده فيه ولا عالم ولا شىء سواه انتهى .

وهذا كلام مقبول فى الجملة . ولكنه ينقضه بأقوال أخرى كثيرة . والتلمسانى يرد كثيرا على ابن عربى لما فى كلامه من روح الإسلام وأقوال

التصوف الإسلامى وإن كان فى مواضع أخرى يأتى بكلام المتصوفة الفلاسفة الاشراقيين أو الافلاطونيين وغيرهم ويذكرون فى كتبهم اصطلاحات الصوفية من البقاء والفناء والكشف والتجلى ويفسرونها بمعانى مجوس الهند أهل وحدة الوجود كما فى طريق فاتخل المجوسية .

وبالجملة فمن اطلع على كتب أهل تلك الطرائق عرف كنه البلاء العظيم الذى اجتهد فى إثارته متصوفة الحقائق فافسدوا به دين الإسلام وأضلوا به أمما من الناس فى أقطار كثيرة .

ولقد كنا نقرأ مايحكيه المؤرخون عن القرامطة وأعمالهم وعقائدهم وما ينسب إلى فرق الغالية من الشيعة والفرق المجوسية المتظاهرة بالإسلام كالخرمية والراوندية والكيالية فنستبشعه وربما توهمنا أن فيه مبالغة بسبب اختلاف المذاهب. فتبين لنا بعد اطلاعنا على ما ذكرنا أنهم قد اقتصروا واختصروا ولم يبلغ إليهم إلا بعض ما كانوا عليه من الضلال .

وقد اجتمعت تلك الضلالات بأجمعها مع زيادات وبدع جديدة وتجسس فظيع فى هذه الطرق الشيطانية الممقونة التى ورثت تلك الضلالات وأضافت إليها خبائث القائلين بوحدة الوجود . فلا يمكن أن يتصور الإنسان نحلة كفرية أجمع للضلال والرجس من نحلة هؤلاء .

ولعل وصفنا هـذا لهـا لايفى بعشر من حقيقة ما فيها من الضلال . لأنهم تتبعوا كل باب من علوم الإسلام وأحكامه وما يتعلق بالله وأسمائه وصفاته وكتبه ورسله وماجاءت به الرسل فبدلوه إلى نوع من الكفر بعيد على منهاج يغر الضعيف والجاهل بأنهم إنما يكشفون له عن الأسرار المضنون بها والحقائق المكتومة ، والعلوم الكشفية .

وأهل هذه الطرائق يقولون بألوهية اشياء كثيرة ثم يعودون فيقولون هى

شيء واحد . وهذا كان في التحذير من هذه الطرق وربما نبين في كتاب آخر مماثلة طرائقهم لديانة المجوس كما بينها البيروني المتوفى سنة أربعمائة وأربعين من الهجرة في كتابه المسمى (تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مرذولة) وطريقة فانخبل المجوسية . وما للمجوس من الرياضات وما يكون للمتروضين منهم من الخوارق وقد ذكر ابن بطوطة عددا ممن لقيه منهم وسماهم جوكية . وهم يزعمون أنهم يدركون بها ثمانية أشياء من الخوارق . منها القدرة على الاختفاء إذا أراد أو الخطوة . وتكبير حجم البدن والتأثير بالهمة ، والخيال والعلو في الجو وغير ذلك .

وهي كما ترى أمور جزئية قد نص كبار أهل التصوف الإسلامي على وقوعها للبراهمة وأهل الرياضات الباطلة وبعض الرهبان . فإن لأهل الحق فتحا يزيدهم تمكينا وايقانا ، ولأهل الباطل فتحا يزيدهم ضلالا وطغيانا .

وقد قال القطب الإمام الحبيب عبد الله الحداد : إن أهل الله ينقسمون على الجملة إلى ثلاثة أقسام . وإن في مقابلة كل قسم منها طائفة من الكاذبين يتشبهون بالصادقين وليسوا من الصدق وأهله في شيء . غير أن الكاذب الذي يقابل الصادق هو على ضد ما عليه الصادق في حقيقة الأمر ، وإنما يلتبس الأمر بينهما من حيث الظاهر على من لا تحقيق عنده ولا بصيرة ليقضي الله أمرا كان مفعولا اهـ .

والأمر المفعول الذي أشار الله إليه يدخل فيه أشياء كثيرة . فإن الله جعل الحق وجعل له أئمة يدعون إليه . وجعل الباطل وجعل له أئمة يدعون إلى النار امتحانا لعباده ليتحققوا بالصدق ويصححوا بمجانبته مقاماتهم ولسبق الكلمة في قوله تعالى : ﴿ لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ .

ومنها فتنة الدجال المنتظرة والتي ستكون أعظم فتنة تطرق هذا العالم فلا بد

أن تسبقه شُبه واغلاط دينية وضلالات اعتقادية تمهيدا لظهوره وتوطئة له ، وبوادرُ العلامات بقرب ظهوره قد ظهرت .

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم ماصنع شيء إلا من أجل الدجال وهو حديث صحيح روى موقوفا ومرفوعا . والصنائع قد ملأت العالم وستزداد ، والمجاعات التي تسبقه أخذت تظهر شيئا فشيئا . فلا يثقلنّ ما كتبناه فى موضوع وحدة الوجود والطرائق الممقوتة على من وقف على كتابنا هذا فسيأتى وقت قريب يود فيه بعض المؤمنين أنا زدنا فى الشرح والبيان . عندما تظهر شُبه أعظم مما ذكر . والله الحافظ ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم . وإذا أراد الله شيئا هيأ أسبابه وقد ذكر جمال الدين السيد الشريف محمد بن عبد الله بن شيخ العيدروس العلوى الحسينى فى كتابه أسرار علوم المقربين . أمر البراهمة وطيرانهم من غير دوران . ونبه على أن الخوارق تكون للمرتاضين من المحقين والمبطلين والميزان الصحيح للفرق بين الصالح والطالح والمحق والمبطل هو الاستقامة وفى كتاب (العلم النبراس بتبيين منهج الاكياس) للحبيب عبد الله بن علوى العطاس بيان لذلك .

والسر فى وقوع الخوارق للمبطلين أن من الخوارق مايأتى سببه من جانب الروح فإذا جدّ الإنسان واجتهد فى مخالفة العوائد الجسدية فى الطعام والمنام والكلام والخلطة وخرق عوائده الجسدية على ما قيل . من خرق من نفسه العوائد . انخرقت له العوائد ظهر عليه بعض أعمال الروح وخصائصها إلا أن المبطل لا تظهر عليه الشئون المتعلقة بالحق وإنما يظهر له ما يناسب ضلاله . وهذه الخوارق لا تدل على صحة حال من ظهرت عليه ولا قربه من الله .

وأما تكبير حجم البدن فهو من تأثير الروح فى البدن وقد يحصل للمحق وللمبطل .

جاءنى مرة رجل أحسبه من أهل قرية الشعبة بأعلى وادى عمد من حضر موت يسألنى وهو مهتم بواقعة حصلت له . فقال لى إنى لم أزل ملازما لقيام آخر الليل منذ ثلاثين سنة فلما كان فى شهر ذى الحجة منذ ثلاثة أشهر قمت على عادتى فبينما أنا أثناء وردى اذ رأيت بدنى يعظم ويكبر حتى صار إلى هيئة غريبة ثم عاد يتناقص حتى عدت إلى حالتى الأولى وإنى خفت أن يكون ذلك من الشيطان فتركت قيام الليل من ذلك الحين .

فقلت له . لا تخف ولا تترك قيام الليل والذى وقع لك إنما هو مظهر من مظاهر الروح إذا أمدّت الجسدية وعسى أن يكون مقدمة خير لك وأعطيته نسخة من رياضة الجنة . فى أذكار الكتاب والسنه . وقلت له داوم على قراءتها فإن فى ذلك عصمة من الشيطان باذن الله . وهذا الرجل من العوام وكان عالى القامة ضليع الجسم ووقع ذلك لكثير من أسلافنا وبعض أشياخنا وأشياخهم وهم لا يعوّلون عليه وليس بالأمر المهم . وكذلك جزئيات الخوارق التى وقعت للبراهمة . وقد ذكر الشيخ أحمد بن المبارك أن أهل الظلام يكون لهم فتح فى الأمور الفانية مكرا واستدراجا من الله وإبعادا لهم عن حضرته وأن الحق نور تسقى به ذوات أهل الحق فتشعشع به أنورا المعارف فى ذواتهم . وأن الباطل ظلام تسقى به ذوات أهل الباطل فتسودّ عقولهم. وتعمى أبصارهم عن الحق . وتصم آذانهم عن سماعه ، بل لا يقع فى عقولهم ولا يخطر ببالهم ، وإنما الحق عندهم بمنزلة شىء فى طى العدم لم يسمع به قط . وأن الله خلق النور وخلق منه الملائكة الكرام وجعلهم أعوانا لأهل النور بالتوفيق والتسديد وخرق العوائد وكذلك خلق الظلام وخلق منه الشياطين وجعلهم أعوانا لأهل الباطل بالاستدراج والمزيد فى الخسران والتمكن من الخوارق اه . وقد عقد فصلا لهذا فارجع إليه إن أردت .

ومما يستوقف النظر ويستنفد العجب فى أمر القائلين بوحدة الوجود انك

تجد هؤلاء يذكرون فى كتبهم المطلق والوجود المطلق وتجد أتباع أفلاطون اليونانى كذلك يعبرون بالمطلق . وتجد مجوس الهند من البراهمة والنحلة التى يقال لها الجينية يعبرون بالمطلق وهو بلغتهم « أوتمان » وبعضهم يقول « براهما » ومنهم من يفسره بالخلاء والفضاء أو بالعدم أو بالشىء الذى لم يتعين فى الخارج وهم مختلفون فيما بينهم .

فكيف اتفق لهذه النحلة أن يتصادق أهلها فى التعبير عن أصل معتقدهم مع اختلاف أزمنتهم وأقطارهم ولغاتهم . فإما أن يكون أخذ بعضهم عن بعض وإما أن يكون الشياطين قد أوحت إلى كل منهم بذلك الباطل ، وكما أن لهم اتفاقا فى الأصل فإن لهم اتفاقا فى الفروع والتفصيلات ولم يوضع هذا الكتاب لتمحيص ضلالاتهم فلذلك لا نحب الإطالة فى ذلك .

على أن هنا مسئلة لابد من الإشارة إليها . وهى أن اهل وحدة الوجود من مجوس الهند يوصون أتباعهم بترك أهل كل دين على ما هم عليه وأن كل دين حقّ وكل الأديان إنما تطلب الله وإن عبدت النار أو الشمس أو الأشجار أو بعض النار أو الحيوانات والأوروبيون إذا ذكروا ذلك من دينهم مدحوهم عليه إغراء لغيرهم بالتساهل فى الدين ويسمونه (التسامح) ومدحوا عليه وجعلوا يسمون التمسك بالدين (التعصب) وأغرقوا فى ذمه وعابوا به كل متمسك بدينه حتى صار كثير من المسلمين المتصلين بهم يتركون الفرائض ويقترفون المحارم ليحصلوا على اسم متسامح أو معقول وساعدهم على ذلك أتباعهم من زنادقة العصر ومن لا دين له .

وزعم هؤلاء أن أهل وحدة الوجود من المتصوفة يصوِّبون التدين بجميع الأديان ، حتى عبادة الأوثان وأنهم إنما كانوا على هذا الدين . ونقلوا عن بعضهم أبياتا من أشعارهم يقولون فيها إن كل دين هو دينهم . وهذا لا يفيد

شيئاً فإنه إن كانوا أرادوا به ظاهر قولهم فهم قوم تمجسوا وقضى الأمر. وإن أرادوا به معنى آخر فلا يمكن القطع بأنهم كانوا على دين المجوس.

وقد بلغنا أن إنسانا من أهل (عدن) أو قريبا منها لم أتحقق اسمه ولكنه ينسب إلى قبيلة عريقة فى الإسلام ألف رسالة يصوب جميع الأديان ويؤكد أن ملل الكفر كلها إنما هى ملة الإسلام فلا بد أن يكون هذا الإنسان باطنيا زنديقا أو مجوسيا هرطيقيا. قالوا وأنه استدل على ذلك من القرآن ولا يستطيع أحد أن يستدل على تصويب أديان الكفر من القرآن اللهم إلا محرِّف مفترٍ مماحك متمحِّل غَمر. فإن بيان القرآن لا يماثله فى العالم بيان. وتكاد كل سورة منه بل كل آية تصرح بأنه الدين الحق وما سواه باطل. وقد صنف الناسَ إلى مسلم ومنافق ومشرك وكتابى وفرق بينهم لفظا ومعنى وحكما ومآلا من جنة أو نار فكل لفظ منها يدل على طائفة من الناس تختلف عن غيرها فى كل ما ذكر. وهذا ما لا يحتاج إلى شرح ولكن الشبهات والزندقة لابد من ظهورها وتكاثرها تمهيدا للدجال الذى ظهرت علامات قرب ظهوره وسيكون هؤلاء وأشباههم من جملة أتباعه.

وقد عرفت رجلا فى عدن منذ أكثر من أربعين سنة يقول بهذا القول ويتلو قوله تعالى (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر) الآية. فظن أن معنى الآية يدل على أن اليهود والصابئين والنصارى مؤمنون ولو كان ذلك معناها لما قال الله تعالى: من آمن منهم بالله فخص من آمن منهم وبيّن المعنى المراد من الايمان بقوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية ولو كان المراد انهم مؤمنون من الأصل، لما قال فى الآية من هذه السورة: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) الآية وقال بعقبها (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا.) وقال (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل

بل ملة إبراهيم) وقد بين ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام قبل ذلك بقوله (ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم) الآية . وقوله تعالى . (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) الآية . وقوله تعالى : (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين) وذكر وصية يعقوب بن إبراهيم عليهما السلام لبنيه بالإسلام (إن الله أصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) . وقال تعالى : (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) . ولو آمنوا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يكونوا يهودا ولا صابئين بل يكونون حينئذ مسلمين . وقال (ولو أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم) الآية فسمى ماهم عليه أهواء وسماهم أهل الكتاب ولم يسمهم مسلمين. ولما أمرهم الله في القرآن بالإيمان في آية . (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم) . وبقوله تعالى : (قولوا آمنا بالله وما أنزل علينا) الاية كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا . فدل ذلك على أنهم لم يكونوا مؤمنين قبل ذلك . وقال تعالى (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم) فأخبر أنهم كفار وقال: (فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وقال تعالى : (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم) فأخبرنا أنهم لم يؤمنوا بما أنزل الله وأنهم يكفرون بغير ما أنزل عليهم وهو الحق . وقال تعالى:(قل من كان عدوا لله وملائكته ورسله) الاية . فأخبر أنهم كافرون وأنه عدوهم . وقال تعالى : (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا) فأخبرنا أن خلاف الإسلام كفر وأهله كفار وقال تعالى (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى) . فأخبرنا أن ملتهم ليست بهدى بل ضلال وقال تعالى : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) . وأخبرنا بأن الذين

يفرقون بين رسله فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض كفار حقا بلا تأويل ولا مجاز بأن يؤمنوا مثلا بموسى دون عيسى أو بعيسى دون محمد صلوات الله عليهم فقال تعالى :(إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله . ويقولون نؤمن بعض . ونكفر ببعض . ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا) .وقال تعالى: (ياأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم. وإن تكفروا فإن لله مافى السموات والأرض) فأمرهم بالإيمان برسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتوعدهم على عدم الإيمان به وسماه كفرا . وقال تعالى : (إن الدين عند الله الإسلام) . ثم قال (أفغير دين الله يبغون) . وقال : (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) . وقال : (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين) . وعلَّمنا الإسلام فقال تعالى : (أفغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون) . فأخبرنا أن دين الله هو الإسلام وأن من الناس من يبتغ غير الإسلام وقال : (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه) فدلنا على أن من الناس مسلما وكافرا وإن منهم من ابتغى الإسلام دينا ومنهم من ابتغى غير الإسلام . وعلَّمنا الإسلام فقال : (قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) . فمن لم يؤمن بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم فليس بمسلم ولا مؤمن لقوله: (قل) أى يا محمد (آمنا بالله وما أنزل علينا) الآية. إلى قوله:(ونحن له مسلمون) ولقوله: (ومن يبتغ) أى يطلب (غير الإسلام دينا) وهؤلاء كانوا جهالا فلم يفرقوا بين الإسلام طوعا والإسلام كرها . فالإسلام كرها معناه الخضوع قدرا وكونه لفعل الله لا اسلام النفس طوعا وشرعا تسليما لأمر الله ودينه . بل اسلام تكوينى تحت

مجارى قدرة الله وقوته ونفوذ قدرته وكل الناس مؤمنهم وكافرهم تحت مجارى قدرة الله وقوته ونفوذ قدرته وكل الناس مؤمنهم وكافرهم تحت مجاوى القدرة الالهية . نافذة فيهم شاؤا أم أبوا وهذا لا يسمى دينا . ولكنه يسمى اسلاما كرها لا اختيار فيه لصاحبه ولا ابتغاء أى طلب ولا قصد ولا طاعة ، بل هو مجرد خضوع كونى لا شرعى ومن اكره على الإسلام لا يكون مسلما حتى يبتغى ذلك ويختاره قال الله تعالى (لا اكراه فى الدين) وإنما معنى الإسلام كرها مثل السجود كرها فى قول الله تعالى : (ولله يسجد فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدوّ والآصال) فالمراد بالسجود الخضوع والانفعال لقدرة الله . وهل للظلال عقول ودين حتى تسجد السجود المعروف كلا ولكن المراد الخضوع كقوله تعالى : (الم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس. وكثير حق عليهم العذاب ومن يهن الله فماله من مكرم إن الله يفعل مايشاء) . فههنا فرق بين الناس وفصل أمرهم ويبين ذلك قوله تعالى: (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء ألا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) ومن حلمه وعفوه ستر هذه الأمور وإن كان خضوعها لله ظاهرا لنا بلزوم كل مخلوق لما خلق له قال تعالى (الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى) . ولولا ذلك لتعطلت معائشنا ومصالحنا ولامكن أن يغرس الإنسان نخلة فتستحيل شجرة سمر مثلا أو يزرع برا فيعود حنظلا . فلزوم المخلوقات السّنة التى خلقها الله عليها هو من معانى سجودها . وأما الناس فسجودهم الذى هو بمعنى دخولهم تحت نفوذ القدرة لا ينجيهم من عذاب الله . ولا يكون ذلك من الإسلام الذى يبتغيه الشخص ويطلبه ويتخذه دينا . فهذا هو الدين . وأما ذاك فهو خضوع لقوة الله وقدرته شاء أم أبى . وقال تعالى : (قل يا أهل الكتاب

تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فإن تولوا) أى تولوا عن ذلك (فقولوا أشهدوا بانا مسلمون) فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمته قالوا بما فى الآية وآمنوا بها فهم مسلمون ومن تولى فليس بمسلم وهذا نظير قول الله تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الإسلام) . فبعد أن شهد أنه لا إله إلا هو عرفنا أن الدين عنده هو الإسلام كما وصفه وأن الذين أوتوا الكتاب غير مسلمين لقوله (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن . وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم) ولو كانوا مسلمين من قبل لما طالبهم به ولما استفهمهم استفهام التقرير المتضمن للأمر . ولما قال : (فإن اسلموا فقد اهتدوا) فدل هذا على أنهم لم يكونوا مسلمين من قبل . ثم قال: (وإن تولوا) أى تولوا عن الإسلام ففى هذا دلالة أخرى على أنهم تولوا عنه بعد أن طولبوا به فليسوا مسلمين لا من قبل ولا من بعد وقوله (فقد اهتدوا) أى إلى الاسلام فلا هداية ولا اسلام لهم من قبل .

* * *

وبالجملة فلو تتبع عالم مافى القرآن فى هـذا المعنى لأمكنه مع تبين دلالته أن يجمع من ذلك ما يكون فى مجلدات وهذا من الأمور القطعية ، وإذا كان كل الناس مؤمنين فمَن الكفار المأمور بدعوتهم إلى الدين وبجهادهم والمتوعَّدون بالنار والعذاب والمأمور بقتالهم حتى يعطوا الجزية والمنهىّ عن نكاح نسائهم والمحرّمة ذبائحهم إلى آخر مايطول عَدّه من الأحكام الشرعية ، وأىّ حاجة لإرسال الرسل وإنزال الكتب وتقرير الدين إذا كانت الأديان كلها صحيحة فمثل تحريف هؤلاء الناس فى الدين والقرآن لا يقال له غلط ولا خطأ وإنما هو

زندقة وتلاعب أو أن قائل ذلك صار مجوسيا من البيانات أو البراهمة ، عامله الله بعدله .

وقد طال الاستطراد وإن كانت المناسبة ظاهرة بين هـــذه الابحاث والله ولى المتقين .

انتهى الجزء الأول من عقود الألماس

بفصوله الخمسة

ويليه

الجزء الثـانى

مباحث الجزء الأول من عقود الألماس

